

أبو طالب عملاق الاسلام الخالد

قدم له :

سمامة حمزة الاسلام

الدكتور ميرزا عبد الرسول الامتقاني

أبو طالب عملاق الإسلام الخالد

تأليف

محمد علي أسبر

قدم له سماحة العلامة حجة الإسلام الدكتور ميرزا عبد
الرسول الاحقائي

الإهداء

الى صاحب السماحة المجتهد الاكبر
الى الرجل الذي قال فصدق ، ووعد فوفى
الى صاحب القلب الكبير ، والحس الرفيع
الى آية الله العظمى ، والمرجع الديني الجليل
الى العلامة الامام المولى ، الحاج ميرزا حسن
الحائري الاحقاقي دام ظله
تحية اكبار ، واعجاب ، راجيا ان تتال اعجابكم
سيدي *

المؤلف

محمد علي اسبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أبدع حقايق المكنات من انوار اثار مشيئته، واخترع اعيان
 الموجودات من اشعة مظاهر ارادته، وصوّرحدود الماهيات على هيكل
 ما اختاره عند اجابة دعوته، ثم افاض عليهم بما قضى اظهارا لاسعة رحمته والكمال
 تمام نعمته. وصلى الله على خير خلقه واشرف بريته الذي جعل جوهر عبوديته كنهاً
 لمقام ربوبيته. وخلق ربوبياته عوالم الانوار من اسفل مراتب عبوديته، وعلى الله
 واهليته الذين علاهم بعلية وسمى بهم الى ربته ائمة الهدى ومصابيح الدجى
 واعلام النقي وذوى النهى والاولى والحق وكهف الورى، الذين جعلهم الله محال مشيتهم
 والسنة ارادته ومعادن علمه وحكمته ومخازن سره ورسالته وايات معرفته وحنانه
 شيعته وشرعيته الذين كانوا انواراً في الاصلاب الناعمة الموحدة والارحام المطهرة
 المؤمنة. ولعن الله على اعدائهم ومخالفيهم ومبغضيههم ومنكريهم ومنكري
 فضائلهم ومناقضهم وفاسدي حقوقهم من الان الى يوم الدين.
 اما بعد فكم من جنابة ارتكبها ايدى الائمة في تواريخهم باثام الاركياء
 وتزكية المجرمين اما خوفاً من سطوة السلاطين او طمعا في دنياهم.
 وكان اول مظلوم في الاسلام قد رُمي بالكفر والشرك رغم ايمانه هو شيخ البطحاء
 ابو طالب بن عبد المطلب ابن هاشم ابن عبد مناف، اول المجاهدين في سبيل الله
 واول المناصرين لدين الله، وقد اظهر رضوان الله عليه الاسلام واعترف بشوّة
 ابن اخيه محمد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قولاً وخلاً شعراً وشكراً لا مزيد
 عليه ولم يبق في الاسلام وايمانه عند من تدبر وانصف شك ولا ريب.
 وهذا ذلك المجاهد الباسل الذي اجتهد بكل قواه في حفظ النبي الكريم وثبت
 واستقام في قوله ربّ الله وبذل ما في نفسه من العظم بنفسه واولاده -
 وقد كاد حب الله ورسوله يتفجر من جوانبه ونواحيه.
 فلم ينكر اسلام الامهاتيين بن ابي حفيان حيث اتفق في وضع الاحاديث الكاذبة

عليه وعلى خلفه الامام علي امير المؤمنين عليه السلام وهدم بناؤ الاسلام من بيت مال المسلمين ما ملأ القوادس والصحاح ، وتجدد من تبعه عالما عامدا او جاهلا غافلا ، وارادوا بذلك اطفاء نور الله (والله اعلم) فودعه ولو كره الكافرون)

ومن جملة الاكاذيب الموضوعة على ابي طالب رواية سعد بن مسيب في شأن نزول الآية الشريفة (يا اياك النبى والذين آمنوا هم ان يفسدوا اليك) (الواضحة) حيث خروها بمؤمن خريش قال ابن الجوزي بعد المعتزلة هو (سعد بن مسيب) من اعداء علي وآله من القائلين له - القائلين فيها لمبعضي له) الواضحة قال كما جاء في العدي وغيره من الكتب .

كيف وقد امن ابو طالب بنبوته الرسول الاعظم من قبل ان يها دنوته باضاد من بحيرا والراهب و قصته مشهورة . وكان قبل ذلك ايقنا موحدا حنيفيا كاجله عبد المطلب حده هاشم وسائر اجداده الموحدين ، ولولا انكار اعدا الذين اسلاموا وامر ادهم في شركه عناد الحق و بعضا منهم لولاه امير المؤمنين عليه السلام لما احتيج الى تأليف الكتب والرسائل ولجها و نشرها في اثبات ايمانه ابدًا .

هذا وقد اقيمت وصنفت في الله فاع عن هذا المعلوم كتب قيمة مفصلة ومختصرة كتبت ^{هذه} حجة الخاسدين وجاهرا في سبيل رب العالمين وخدمة المذهب والدين .

ولكن جاء كتاب (ابو طالب عملاق الاسلام) الذي ألفه المرحب الكبير والعالم الفخير والشيخ البصير العلامة الاستاذ الشيخ محمد علي اسير دار امت بر كانه مرغوبا مطلوبا . قد امتاز ببياناته الرائعة وتعاويه البليغة واسلوبه البديع . ونظامه المنيع وادامة القاطعة وبراهينه الساطعة . فجزاه الله عن ابي طالب وايمانه وعن الاسلام واعوانه خير حيا والمحسنين ووقفه لتأليف امثاله وكل ما يحب ويرضى . امين بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

الاعقد

خادم الشريعة الفراء -

ميرزا عبد الرسول الافغانى "

١٣٩٦ ربيع الاول

٧ مارس ١٩٧٦



من هو أبو طالب ؟؟

أبو طالب هو والد الامام علي بن ابي طالب ، واسمه « عبد مناف » ، وقد غلبت عليه كنيته فصار معروفا في التاريخ بأسم « أبي طالب » ، وكانوا يدعونه بيضة البلد ، ويلقبونه بشيخ الابطح وذلك كناية عن احتلاله الصدارة في زعامة قريش .

ولد أبو طالب في بيت تعطره انفاس الفضائل — ذلك البيت الكريم هو بيت والده عبد المطلب الذي عرفه ابناء عصره ربانيا موحداً ، وخلقاً سمحاً ، وسخاء سكبا ، وذكاء عبقريا ، وحكمة وشجاعة .. هذه الصفات الماجدات كانت ميراثه من جده ابراهيم خليل الرحمن — ميراثا روحيا ، ودمويا امتزجا معا فكان منهما عبد المطلب ، وكان منهما : أبو طالب ، ومحمد ، وعلي ، وفاطمة ، وابناؤهم الائمة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

كان عبد المطلب على ملة جده ابراهيم ، لم يقف هو ، ولا احد من ابائه امام صنم خاشعا قط ، . . ولم يعرفوا لهذا الكون خالقا الا الله وحده ، وهذا ما اثبتته التاريخ ، ولا نعلم زيادة عليه خلافا من كل من درس التاريخ ببصيرة واعية .
وانه ليلزمني — وانا اتحدث عن عبد المطلب أن أنقل كلمات حفظها انا التاريخ — ترسم صورة واضحة المعالم ، صافية الظلال ، والالوان ، عن ايمان الشامخ بالله .

لنستمع اليه يحمده الله في أبيات على أن رزقه أولاده
العشرة :

يارب !! أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود

ليس هذا نفس موحد يملأ الايمان بالله وجوده ؟؟
يارب ، لك الحمد على ما أنعمت علي به من بنين ، ونعم ،
ويا رب ، أنت مالكنا الذي لانعبد سواه ، ولا نستعين الا به ،
لنكاد الآية الكريمة : اياك نعبد ، واياك نستعين تنساب على
لسانه .

وهذا هو يذهب الى الكعبة حينما قدم ابرهة الحبشي بجيشه
الكثيف من اليمن ليهدم بيت الله الحرام .
هذا هو يضع يده على باب الكعبة ، ويدعو الله بقلب ملؤه
الخشوع قائلاً :

يارب !! لأرجو لهم سواكا يارب !! فأمنع منهم حماكا
وها هو يتوجه بالدعاء الى الله ثانية فيقول :

لاهم !! ان العبد يمنع — رحله — فأمنع رجالك
لم أستمع يوماً بأرجس منهم رأموا قتالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك

كان يتقدم جيش ابرهة فيل ضخم ، ولذا سمي جيشه
« جيش الفيل » (١) .

وهذا هو بعدما توجه الى الله بذلك النداء الضارع يقول
لابناء مكة :

يا معشر قريش !! لن يهدم هذا البيت ، فان له ربا يحميه .
وحقا كان قول عبد الملب ، فان الله استجاب دعاءه ، وحفظ

١ — وسمي ذلك العام « عام الفيل » وفيه ولد النبي الكريم محمد سنة
٥٧١ ميلادية ، وبين ولادته وبين حادثة الفيل خمسون يوماً .

بيته ، وأرسل الى ابرهة وجيشه : طيرا إلبايل ، ثرميسهم
بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .
وهذه لمسة اخيرة تكتمل فيها صورة التوحيد الثيرة عند
عبد المطلب :

حبست السماء رحمتها عن دنيا مكة أعواما ، فجاء سادة
قريش عبد المطلب يقولون له :

أكلتنا الحاجة ، وقد اتيناك راجين أن تدعو ربك لينزل علينا
الغيث ، وينقذنا من الهلاك . . فلبى عبد المطلب رغبتهم ،
وذهب الى جبل ابي قبيس ، المجاور لمكة والناس يتبعونه ،
وكانهم جراد منتشر .

ذهب يستسقي لهم ، فماذا قال حين استقر على الجبل ؟؟
أسمعوا دعاء المضيء بنور الايمان ، أسمعوه عبدا نقى
الاخلاص ، أصيل التوحيد ، رافعا يديه شطر السماء يقول :

اللهم !! هؤلاء عبيدك ، وبنو عبيدك ، واماؤك ، وبنو امائك
وقد نزل بنا ما ترى ، وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت
بالظلف ، والخف ، والحافر ، فأشفت على الانفس ، فأذهب
عنا الجذب ، وأثنتا بالحياء ، والخصب .

وانتهى عبد المطلب من دعواته الباقيات ، ونزل عن الجبل ،
وقبل ان يصلوا المدينة ظهرت في السماء غيوم سود ، تسوقها
رياح سريعة . . واذا الماء خيوطا كثيفة ، تجعل بطاح مكة ،
وغير مكة تتدفق ريا ، وخصبا ، وحياء راضية ، واذا الشعراء
يتغنون بهذه المكرمة التي اسبغها الله على عبد المطلب فزاده
رفعة . . هذه احدى شاعرات مكة تتغنى بقصيدة مطلعها :

بشيبة الحمد ، اسقى الله بلدتنا
وقد حرمنا الحياة واجلوز المطر (١)
« وشيبة » اسم عبد المطلب ، وسمي شيبة الحمد لكثرة
حمد الناس له (٢) .

ذلك هو عبد المطلب ، يدعو الله ان يسقى الناس فيسقيهم ،
ويدعوه ان يحمي بينه فيحميه ، لقد ارتقى عبد المطلب في ايمانه
بالله ، واخلاصه له ، الى مستوى لا يرد الله له دعاء .. من
اجل هذا عرف انه مستجاب الدعاء ، ومن اجل هذا ، وغيره ،
كان السيد المطاع في قریش ..



عاش عبد المطلب في عالم جاهلي في عبادته للوثان ، وفي
تحليله الحرام ، وتحريمه الحلال ، ولكنه هو انفرد مع
الطاهرين من اهل بيته بعبادة الله على نهج ملة جده ابراهيم ،
وكما تفرد بعبادة الله ، تفرد بسنن تشريعات يذكرها رسول
الله فيقول لابن عمه علي :

يا علي !! ان عبد المطلب كان لا يستقسم بالازلام ، ولا يعبد
الاصنام ، ولا ياكل ما ذبح على النصب ، ويقول :
انا على دين ابراهيم .

يا علي !! ان عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن ،
اجراها الله عز وجل في الاسلام : حرم نساء الاباء على الابناء ،
فأنزل الله : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ، ووجد كنزا فأخرج منه
الخمس تصدق به فأنزل الله : واعلموا ان ما غنمتم من شيء
فان لله خمسة ، ولما حفر بئر زمزم سماها : سقاية الحاج .

١ - اجلوز المطر : امتد وقت تأخره . معنى البيت : ان الله استجاب
دعاء عبد المطلب (شيبة الحمد) وسقانا ماء كثيرا ، بعدما حرمنا المطر زمنا
طويلا .. ٢ - راجع صفحة ١١ من كتاب مهجد عند علماء الغرب .

فأنزل الله : أجعلتم مسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، ومن في القتل مائة من الابل ، فأجرى الا بمذلك في الاسلام ، ولم يكن للطواف عدد عند قریش فمن لهم سبعة اشواط فأجرى الله ذلك في الاسلام :

وزاد المؤرخون فقالوا : ان عبد المطلب كان يحرم الخمر ، وينهى أن يطوف بالبيت عريان ، ويحرم الزنا وينهى عمن واد البنات ، وهذه كلها أقرها الاسلام ، وأنزل فيها آيات محكمات في كتاب الله ، وفي احاديث رسوله .

اعود فاقول : ذلك هو عبد المطلب .. انه من ذرية ابراهيم .. وانه وآبائه استجابة لدعوة ابراهيم حين يسأل ربه : ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، انه من اهل بيت حيته الملائكة فتالت : رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد .

في هذا البيت المجد نبت ابو طالب ، وفي ذلك المناخ اللاهوتي ، شيب ، وترعرع ، حتى استقام المعيا انصهرت في ذاته شمائل أبيه ، فهو ، موحد منبتا ، وهو موحد جوهرًا ، وله في ميادين الحكمة جولات زاكيات .. وهو جواد سمح ، وهو شجاع فذ ، وهو شاعر متوقد الاحساس ، وقف شعره على تأييد الرسالة المحمدية ، والدعوة لها حتى وفاته .. وهو .. وهو .. خصال طيبات ، مباركات ، عرفها بيت عبد المطلب .. فأبو طالب سر أبيه .. وكم كان والده الجليل مفتبط النفس لما رأى شخصيته تتجلى في ولده أبى طالب لمحبة .. لمحبة .. وذلك ما جعله يسر في نفسه أمرا خطيرا .

ترى ، ما هو ذلك السر الذي أضمره عبد المطلب ، ولم يطلع عليه احدا ؟؟

ان ذلك السر هو أن يضع حفيده محمداً في كفالة عمه أبي طالب حينما يترك هذه الدنيا .

كان لعبد المطلب عشرة من الاولاد ، أحدهم عبد الله والد محمد رسول الله ، وقد زوجه من آمنة بنت وهب من بنسي زهرة (١) وكان عبد الله كأخيه أبي طالب ، وسامة ، وكياسة ومروءة ، كلاهما من أم واحدة هي : فاطمة المخزومية القرشية وكلاهما ورث صفات ، وخصائص أبيه ، « شبيهة الحمد » ولكن لحكمة يعلمها الله ، مات عبد الله ، وترك زوجته آمنة حاملا . . ولما وضعت آمنة فتاها ، ذهب البشير (٢) الى عبد المطلب يلقي عليه النبأ البهيج . . ثم اقترب من أذنه يهمس فيها سرا : ان المولود سقط الى الارض ساجدا ، وانه ولد مختونا . . ويصفى عبد المطلب الى الكلمات المنعشات تنسكب في أذنيه . . فتستقر في ذهنه . . ثم لا تلبث حتى تتفتح في وجهه ازاهير غبطة ، ملونة بالوقار ، والسكينة . . ولكنه لم يدهش ، ولم يستغرب ما سمع ، كأنها كان منه على ميعاد . . ويمضي عبد المطلب الى البيت مسرعا ، ويتناول بيديه ولده الحبيب ، ويضمه الى صدره يتنسم روحه الذكي . . ويذهب الى بيت الله يطوف به حول الكعبة ، وفي نهاية المطاف توقف ليقول للوليد العظيم : أنت محمد ، فسماه « محمدا » ثم أنشده :

الحمد لله الذي اعطاني
هذا الفلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الفلمان
اعينه بالله ، ذي الاركان
من حاسد ، مضطرب العنان

ويسري خبر مولد محمد في مكة . . ويستمع الناس اليه بذهول ، ويتناقلونه في مجالس أسماهم ، وفي انديتهم :

١ - هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

٢ - بشرت عبد المطلب بولادة محمد نويبة الاسمية .

سقط ساجدا .. ولد مختونا . أمه قالت — وهي صديقة —
انها رأت حين ولادته نورا أراها مشارق الارض ومغاربها ..

ما هذا ؟؟

ما هو هذا المولود العجيب ؟؟

يسقط ساجدا ، ويولد مختونا ؟؟

وأختلف الناس شيئا بشأن هذه الاخبار : فمنهم من قال :
ان البيت الهاشمي ، ولا سيما بيت عبد المطلب ينطوي على
اسرار مغلقات .. ومنهم من امسكته الدهشة عن اعطاء تفسير
لهذا الحادث الخارق .. ثم طرق آذانهم نبأ جديد .. نبأ
حضنته جملة واحدة نطق بها جد الغلام عبد المطلب قال :
سيكون لابني هذا شأن ..

كلهم يعرف عبد المطلب ، كلهم يعرفه منارة صدق ، كلهم
يعرفه عقلا واعيا ، حكيما .. سيكون لابنه محمد شأن .. اذا
فكل ما بلغهم عن ولادة محمد واقع محسوس لا زيادة فيه .
ولكن غشاوة الشك ما برحت ضبابا يتموج في قلوبهم ..
فأخذوا يسألون ، ويلحفون في السؤال عن سلوك عبد المطلب
مع حفيده محمد .. وبلغتهم الابيات التي انشدتها حامدا لله ،
وهو يدلل صغيره في بيت الله ، وقفوا طويلا عند قوله : قد
ساد في المهدي على الغلمان .. وعرفوا انه اشتق له اسما
من « الحمد » فسماه محمدا .

وجمع العقلاء منهم ما سمعوا عن ولادة محمد — جمعوا كل
ذلك في حق واحد .. ثم جزموا قائلين : سيكون لحفيد عبد
المطلب شأن ، وأي شأن ، كما قال جده عبد المطلب .
وما تصرمت ست اعوام على ولادة محمد حتى تخطف الموت
والدته آمنة ، فكفله جده ، وانفرد بالحب عليه .. كل رقتة
.. كل حنانة .. كل حبه .. جعله سكنا لحفيده محمد صاحب
الشأن العظيم ...

ويمر عليه عامان في كفالة جده الرحيم . . ثم اذا المرنى
ينزل بهذا الجد العظيم ، ويعرف الجد انه تارك هذا العالم
فينادي ابنه ابا طالب ، ويعهد اليه ان يكتل محمدا ويزوده
بالوصية التالية :

انظر يا ابا طالب ان تكون حافظا لهذا الوحيد الذي لم يشم
رائحة ابيه ، ولم يذق شفقة امه ، انظر ان يكون منك بمنزلة
كبدك ، فاني قد تركت بني كلهم ، وخصصتك به .
ثم قال له : ان استطعت ان تتبعه فافعل ، وانصره بلسانك
ويدك ، ومالك ، فانه ، والله سيسودكم ، ويملك ما لم يملك
أحد من آبائي ، ثم نظر في وجه ابنه ابي طالب مليا كأنها يريد
ان يعرف كل خلجة في خبايا نفسه ، وقال له :

هل قبلت يا ابا طالب ؟؟ !!

فقال أبو طالب ، وقد اخضرت في قلبه السكينة : قد قبلت ،
والله على ذلك شهيد . .

ومد عبد المطلب يده ليضعها في يد ولده ابي طالب ، ويشهد
عليها ، ثم أخذ نفسا هادئا ، عميقا ، وقال باسما : الان خفف
علي الموت ، وأغمض العينين الوديعتين ، وذهب الى ربه
راضيا ، مرضيا (1) .

وانصرف أبو طالب الى ابن أخيه محمد يفتق عليه ما وهبه
الله من : رحمة ، ومحبة ، وعطف ، حتى ان محمدا الصغير
ابن الاعوام الثمانية لم يشعر انه فقد شيئا من رافة وحنو جده
شيئا .

بل أنه رأى في حنان عمه أمقا رجبا يواكب نمو مداركته ،
وخيرات احساسه الصاعدة ، وأذا كان محمد بالنسبة لجده
عبد المطلب كالعطر بالنسبة للزهرة ، فقد غدا محمد بالنسبة
لعمه ابي طالب كالماء بالنسبة لحياة الزهرة .

١ - توفي عبد المطلب عن مئة وعشرين عاما .

انه ينشئه على عينه ، انه يجعله ينتقل في جنان ابراهيم
يتغذى منها ثمار المكرمات .. فاذا مجتمع قريش يرفع محمدا
الى درجة القداسة ، فهو ، محمد الصادق .. وهو محمد
الامين .. واذا هو محمد الحكيم الذي يقضى بالحق الذي
يرضي الجميع .. واذا هم يرون فيه آباء اسماعيل محاسن
خليقه لا تنفد ، فأخلصوا له حبا ، واجلالا .

وتمثل محمد لتراث خليل الرحمن ، جعل تعلق عمه به
يتجدد ، ويتسع باستمرار .. وحنان أبي طالب الذي يسكب
على محمد طراوة الحياة ، واطمئناتها جعله شديد الولع بعمه ،
فهو لا يكاد يفارقه .. حتى انه لا يترك له سبيلا للذهاب الى
مكان ما ، الا ، وهو رفيق له .

صحبه الى حرب الفجار ، وصحبه حين ذهب يستسقي
لقريش ، وصحبه الى « ذي المجاز » وصحبه في رحلة تجارية
الى دمشق ، وفي كل رحلة من تلك الرحلات ، كان ينبت في
قلب أبي طالب برهان جديد لشأن محمد العظيم .

ففي حرب الفجار انتصرت هوازن حليفة أبي طالب على كنانة
بيمن محمد ..

وحينما استسقى أبو طالب لقومه داعيا ربه أن يكشف
عنهم أغبرار القحط ، بسط محمد كفيه ، ودعا مع عمه ، فاذا
الغيث ينهمر من السماء واقيا ، كافيا .

وفي طريق رحلته الى ذي المجاز ، عطش أبو طالب حتى
كادت حرارة العطش تلتهم كبده ، فتلمل ، وأعلم ابن أخيه
محمد ، فمد محمد يده الى صخرة في الطريق شامخة ، فاذا
الماء يتدفق منها عذبا ، فراتا .

وفي رحلته الى دمشق يرى الغمامة تظلل محمدا ، ويرى
أحد الرهبان المنقطعين الى التأمل والعبادة ، فيحدثه عن محمد
ويقول له : انه نبي الله المرتقب ، ويحذره مكر اليهود وغدرهم .
كل دلالة من هذه الدلالات كانت تستقر نورا في نفس أبي

طالب ، فتصفو ، وتتهلل اشراقا .. ويزداد حرصا على ابن
أخيه محمد وبه ولعا .

وتمر الأيام سريعا حتى لكانها طيور المساء عائدة الى مطارح
أمنها ، وراحتها .. فاذا محمد ملء العين شبابا مهتلجا ،
وسيفا ، واذا هو ملء القلب اخلاقا قدسية ، واذا هو ملء
النفس مهابة ، وجلالا .

وفي خلوة مفروشة بأطياب الهدوء جلس أبو طالب الى نفسه
يقول :

هذا محمد قد تجاوز العشرين ربيعا ، وقد آن أن نبحت له
عن الزوجة الفاضلة ، ليرفع بيتا ، وينجب اولادا .. وكأني به
يرد على نفسه قائلا : ومن هذه التي تليق بمحمد الصادق ،
الامين ، زين الفتوة ، وربيع الشباب ؟؟ أجل ، من ؟؟

وأخذ يستعرض في ذهنه أسر مكة ، وفتيات مكة ، وتعب
من الاستعراض ولما ينته الى امر حاسم ، فحبس في وجدانه
ذلك خاطر الى مناسبة ثانية .. وراح يزاول أعماله اليومية .
وبين اليوم ، واليوم ، كان يستيقظ خاطر الحبيب في
ذاكرة أبي طالب فيستأنيه ، ريثما يهتدي الى الأنسه التي تليق
بمحمد صاحب الشأن العظيم .

وذات يوم جاءه ابن أخيه محمد يقول له : ان خديجة بنت
خويلد أرسلت اليه تطلب منه أن يرأس لها رحلة تجارية
الى دمشق ..

ويبتسم العم الرفيق ، ويقول بتحبب يذوب لطفًا : هذا ما
كنا تحدثنا به معا ليلة أمس ، ثم يتوجه اليه بالخطاب قائلا :
والان ما رأي محمد الحبيب ؟؟

فيوافق محمد على الرحلة ، ويوافق العم راضيا أن ينفرد
محمد بالعمل بعيدا عنه ، فقد أصبح مكتمل الرجولة ، بل انه
المثل الاعلى للرجولة ، ولا خوف عليه من اليهود ، لان قافلة
خديجة ستضم ثلاثمائة رجل ، يكون هو السيد المطاع فيهم ..

وما كان أشد سرور خديجة حين وافق محمد وعمه على الرحلة
وشغفت سرورها بأن سلمته قيادة الرحلة الجاهزة للسفر
فوراً .

وكان صباح ، وكان مساء ، وإذا محمد يعود من الرحلة
سالمًا ، غانمًا .

وبعدما مضى الى دار عمه أبي طالب ، دعت خديجة وكيلها
ميسرة الذي كان مرافقًا لمحمد ، وسألته على انفراد : كيف
رايت محمدًا ؟؟ اخبرني لا تغادر صغيرة ، ولا كبيرة .
فماذا أخبرها ؟؟

قال لها : وعن اي خلق في محمد بن عبدالله أحدثك ياسيديتي ؟
عن أمانته ؟؟ عن صدقه ؟؟ عن نبيله ؟؟ عن تسامحه ؟؟ عن
بركاته ؟؟

ان محمدًا كل هذه الصفات مجتمعة ، وكل من في مكة يعرف
ذلك . . ولكن . . وصمت الرجل يأخذ نفسًا قصيرًا وخيل الى
خديجة ، ان وراء كلمة « لكن » عيبًا بمحمد يستحي أن يحدثها
عنه ، فدفعته الى الكلام قائلة : ايه . . قال : لقد رايت أمرا
عجبا ، كانت غمامة تتبعه ، وتظلله من حمارة القيظ ، ورايت
راهبا اسمه « نسطور » يأتيني بعدما رأى ملازمة الغمامة
له ويسألني — ولم ير محمدًا عن قرب — : هل في عيني هذا
الشاب حمرة ؟

قلت له : نعم ، أنها لا تفارقه .

فقال : انه نبي هذه الامة .



زواج الرسول من خديجة

كانت خديجة تصغي الى حديث ميسرة ، وكأنها في فردوس
من الاحلام الناعمة ، العذبة .

قالت متعجبة : غمامة تسير بمسيره ، وتقف حين ينزل

للراحة انظقي عليها ظلها البارد !! ونبي هذه الامة ؟؟ اصدقا
قلت يا ميسرة ؟؟ !!

قال : نعم يا سيدتي ، ما قلت الا ما رايت ، وما سمعت ،
فصرفته قائلة : عليك ان تتمهد جمال القافلة وبعد ذهابه ،
انفلت منها هذا السؤال الذي وجهته الى نفسها ، قالت : لماذا
اهتم بمحمد بن عبد الله كل هذا الاهتمام ؟؟

هل هو دافع حب الاستطلاع ؟؟ أم هو دافع الاعجاب ؟؟
واخذت تستقريء نفسها ، فاذا هي تكتشف سرا .. اذا هي
تري انها تحب محمدا حبا تجاوزت بذرته مراحل نموها الاولى .
هل لامت نفسها على هذا الحب ؟؟ هل رأت نفسها غير كفاء
لمحمد كونها ارملة ، ولها اولاد ؟؟

قالت تحدثت نفسها : اني ما زلت شابة ، وليس في قريش
من هي انضر مني جمالا ، واني من بيت عريق في شرف الاصاله
واني احب الخير للناس ، واني اطعم الجياع ، واساعد الفقراء
والمساكين ، ولا ابتغي لاحد سوءا .. واني غنية ، فما يمنعي
ان اطعم بمحمد ؟؟

اذا فهي ترى نفسها كفاء لمحمد ، وفجأة برز من فجائسي
ذاكرتها سر دفين ، لقد قال لها احد الكهنة منذ حين من الزمن
سيكون لك شأن مع نبي عظيم .
وراحت تخاطب ذاتها قائلة : هل يكون محمد ذلك النبي
العظيم ؟؟

وما هو ذلك الشأن ؟؟

هل يصبح محمد زوجا لها فتتحقق نبوة الكاهن ، وينعقد على
مفرقتها تاج سعادة خالدة ، ورائعة ؟؟ أم ماذا ؟؟
وانثنت الى محمد تستعرض في ذاكرتها شريطا مصورا
لحياته المعنوية ، قبل ولادته ، وحين ولادته ، كلمات جسده
الراحل عبد المطلب عنه ، اقوال الرهبان ، والكهنة ، والعرفانين
.. اخلاقه .. تظليل الفهم له .. وانتزعت كل هذه الصور

من ذاكرتها ووضعتها أمام عقلها ، وطفقت تثقلها واحدة ،
واحدة ، ثم همست تقول : هل يكذب كل هؤلاء ؟؟ لقد تكلموا ،
وكل واحد منهم بعيد عن الآخر ، ولم يكذبون على محمد بن
عبد الله دون سواه ؟؟ لا ، ليس في الأمر كذب ، بل هو القول
الفصل ، وما هو بالهزل ، وأنه لصاحب الشأن العظيم كما
أخبرها الكاهن ، وكما وصفه جده ، وأنه هو نفسه سيكون
لها معه الشأن العظيم . . هكذا حكم عقل خديجة الواعي ،
وعلى هذا الأساس الواضح أضمرت فكرة تكشف لها أوراق
حياتها القادمة المختومة بخاتم الغيب .

ماذا عزمت خديجة أن تفعل ؟؟

ها هي تنادي جارية لها ، تأنس بها ، وتثق بتدبيرها ،
فتفسر إليها بضع كلمات . . وتمضي الجارية نفيسة الى محمد
بن عبدالله توشوش اليه بتلك الكلمات . . ثم تعود منه بجواب
جعل لحظتها بالثقلان ببهجة الفرح الرزين . وتدخل نفيسة على
سيدتها اللهيبة الى عودتها ، وتنظر خديجة الذكية في وجه
الجارية فإذا هي ترى أمانيها الغاليات تتلألأ في عينيها وتقول لها:
لقد أصبح الحلم حقيقة يا خديجة !!!

قالت لها : وافق يا سيدتي على أن تحظ موافقته برضى
عمه أبي طالب .

فأنقبضت خديجة من جديد وقالت : هل يعارض العم الجليل؟
ولكن العم الجليل وافق ، لقد ذهب اليه ابن أخيه محمد ، فإذا
هو يراه شارد الفكر . . حتى وكأنه يستجلي أبعاد الزمن . .
كان باله مشغولاً بمحمد - بزواجه ، وبينما هو يفكر ، ويمحص
وجوه الرأي ، طلع عليه وجه خديجة بنت خويلد فقال : ما
يمنع أن تكون هذه زوجة لمحمد ؟؟

شرف ، وعقل ، وقلب كبير ، وغنى نفسي ومادي ، وتكشف
مناقشات أبي طالب للأمر هنا ، لأنه سمع حركة أقدام تتجه

نحوه ، فنظر ، فاذا الحبيب محمد مقبل ، وفي وجهه ابتسامة حلوة ، يانعة .

قال له عمه : ارى في وجهك بشرى مثناس ، فهات يابن اخي ما عندك ؟؟

ويحدثه محمد عن خديجة ، فاذا هو يقول : ذلك ما كنا نبغي ، واخبره بما كان يهتمل في نفسه حول هذا الموضوع .

ويتحدد يوم الخطوبة ، ويحضر ابو طالب على رأس الهاشميين في دار خديجة ، ويحضر من قريش من حضر ، وقام ابو طالب شيخ البطحاء ، يخطب خديجة فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وضئضئ معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمة ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا حكام الناس . . ثم ان ابن اخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به شرفا ، ونبلا ، وفضلا ، وعقلا ، ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله كذا . . وعاجله كذا . . مهرا لها ، وهو ، والله ، بعد هذا ، له نبأ عظيم ، وخطر جليل ، جسيم . .

ثم ، تم زواج محمد من خديجة ، فانتقل من دار عمه السي بيت الزوجية الجديد ، بعد ان عاش سبعة عشر عاما في كنف عمه ، البر ، الرحيم (١) .

سبعة عشر عاما الا قليلا منها ، كان ابو طالب يفتح عينيه كل صباح على وجه محمد ، ويسلمهما مساء الى نوم هانسيء سعيد ، بعدما تتممان بهراى محمد .

١ - تزوج الرسول خديجة وعمره خمسة وعشرون عاما ، وقد ولدت له قبل البعثة : القاسم ، ورقية ، وزينب ، وام كلثوم ، وبعد البعثة : عبد الله ، والطاهر ، وناطمة (كتاب محمد عند علماء الغرب) .

سبعة عشر عاما ، كان محمد اثناءها في روح ابي طالب
بسمات جمال روحاني ، أما في قلبه فقد كان مروجاً خضراً
ينساب فيها جداول الصفاء .

سبعة عشر عاما كانت فيها فاطمة بنت أسد ، زوج ابي
طالب ، ووالدة علي أما لمحمد تدفق قلبه بنور حنانها ، وتغسل
عواطفه بعبير حبها المبارك ، ومحمد كان يحس ذلك من عمه
ابي طالب ، وكان يحسه أيضا من فاطمة بنت أسد ، كان
يرى نفسه عندهما ، صورة وضيفة ، مقدسة ، تملأ القلبين
الاقديسين ..

كان يرى فيهما الانسانين اللذين يروحان حياته بالبسملة
الراضية ، والاشراقة الحانية ، والان ، وقد تزوج محمد وترك
دار عمه الى دار خديجة ، فكيف يكون شأنه ؟؟ وكيف يكون حال
ابي طالب ؟؟ وكيف يكون حال فاطمة بنت أسد ؟؟

لا ريب أن ذلك الفراق .. وان كان صباحاً زاهياً افاض
على الجميع ضياء الرجاء الحميد — لا ريب أنه لامس عواطف
القوم بأصابع الم ناس ، ولكن حرصهم على هناء محمد شرع
يمسح وخزات الالم شيئاً ، فشيئاً ، وهذه الفرقة لم تكن لتمنع
القلوب من المحافظة على الحب الامين ، الرصين ، ذلك لان
الحب الذي استمد غذاءه من تربة الايمان بالله .. الحب الذي
شرب ماءه من كوثر الاخلاص ، هذا الحب لا يضمحل ، بل يظل
حياً لانه حب مرتكز على مبدأ ، وعقيدة .. أنه حب ارواح منزله
عن تفاهات المادة ومصالحها .. ذلك الحب التقى ربط بسين
بيت ابي طالب ، وبيت محمد كما يرتبط المعنى بالكلمة ، لذا
لم يمر طويل من الزمن حتى أخذ محمد ابن عمه علي السبي
بيته لينشأ فيه ، ويتزرع ، كما نشأ هو في بيت عمه .



علي ومحمد

كان محمد يتعهد عليا منذ ولادته ، كان يهز له السرير ، كان يحمله بين يديه ، ويلصقه ب صدره ، كان يناغيه ، كان يداعبه ، كل ذلك قبل أن يجيء الى بيته ، ويضمه الى أسرته ، واليوم جلّسه الى بيته يزقه الطعام ، ينيبه في فراشه ، ينشئه غنى خلقيا ، وقلبا ، دماؤه محاسن الفضائل .

يربيه قرة عينه ، فكما كان يضع اللقمة في فمه ليشتد جسده وينمو ، كان يغذيه بشمائله جرعة جرعة كما يسقي البستاني الوردة علا ، علا . . فإذا هو يتسب معنى من معانيه ، وروحا من أخلاقه . . إذا هو قمر بدرج في منازل الكمال حتى يغدو علي بن ابي طالب بدر الهدى الذي لا يحبه الا مؤمن ، ولا يفضيه الا منافق . . إذا هو علي الذي يراه الرسول في المباهلة توأم نفسه . . إذا هو علي الذي توجه الرسول خليفة له في بدء دعوته الالهية حين قال امام عشيرته الاقربين ، هذا أخي ، ووصي ، وخليفتي من بعدي . . وتوجه في ختام دعوته خليفة له امام مئة ألف من الحجاج ويزيدون حين قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم ، وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وادر الحق معه حيث دار .

وكانت خديجة من علي حنانا صافيا ، وهدبا نقيًا ، كما كانت فاطمة بنت اسد من محمد ، وبسقى فرع علي في ظلال الروحين الاطهرين : محمد وخديجة ، حبيبا ، مدللا ، منعبا .
وتستمر خطوات العمر في محمد صعودا . . فإذا هي تنزله رحاب الاربعين عقلا بصيرا يكاد يستشف حجب الغيب . . وفؤادا ذكيا منضرا بالحكمة ، وهو في هذه السن . . وهو في جبل ثور حيث كان منعزلا عن الناس ، يتأمل في بدائع ما يرى ، وما يسمع ، وما يحسن ، من هذه البسيطة ، يأتيه

جبريل ويقول له ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق .



محمد وآراءه صات الوحي

الحقيقة الازلية أرسلت جبريل يخصب قلب محمد بأرج الوحي . . ويعلمه ، ان الله اختاره نبيا ، ورسولا للعالمين ، ليبلغهم رسالة ربه ، ويخرجهم من الظلمات الى النور . ويذهب محمد الى خديجة يضعها في اطار النبا ، الباذخ ، المثير . . قص عليها ما حدث ، وكان به دهشة ، وكان به خوفا مرعدا .

ترى ، هل كان محمد يمتحن اعصاب خديجة امام وحى السماء ، ام هي الفرحة الروحية المفاجئة ، لان الله اجتباه رسولا ؟؟ لقد ريعت خديجة عندما واجهها ، باضطرابه ، ثم ما لبثت ذاكرتها ان تفتحت عن خطوط مبهمه تحولت الى أحرف ، ثم التأمّت كلمات ، فاذا هي تقرؤها : ان محمد هو النبي الذي لها معه الشأن العظيم . . فانجس برد اليقين ملء صدرها ، واذا هي تقول للرسول بكل ما عندها من ثقة واطمئنان : كلا ، لن يخذلك الله . . وأنت نبيه . . ولما رأت وداعة الرضى تغمره بظلالها ، تركته ، ومضت الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان متألها ، مطلقا على القوراة والانجيل . . واعلمته بما حسدت لحمد . . فماذا قال لها ؟

قال : قدوس ، قدوس ، والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يائي موسى ، وانه لنبي هذه الامة ورجعت خديجة الى محمد ، وهي ترى : ان قلبها قد اتسع للدنيا كلها . . ولما وصلت رأت محمدا مزملا ببرد السكينة . . وما استقر بها المقام حتى شرعت تفيض عليه بشرى ابن عمها ورقة سلسبيلا روحيا ، ونعيميا مقبلا ، وملكا كبيرا .

وكما كانت هذه الاحداث الكريمة تمضي امام سمع خديجة وبصرها ، كانت تمر ايضا تحت سمع علي بن ابي طالب وبصره وكلاهما : خديجة ، وعلي بسط يده الى رسول الله مبايعا ، هاتفا من اعماقه أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله وكلاهما وقف معه يؤدي الصلاة ، اجلالا لله ، وشكرا له قبل الناس بأعوام ، واعوام .

ويتابع هبوط الوحي على محمد رسول الله فيقوم بالدعوة سرا ، ثم يجهر بها امثالا لقول ربه : فأصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين .



محمد وقرينس

وقفت قرينس تسمع ما يأتيها به محمد رسول الله . . وعاد اسم محمد ، مثل يوم ولد يملأ اعطاف كل نسمة تهب في سماء مكة وتحول اسم محمد الى علامة تعجب . . ثم السي علامة استفهام . . وطفق سكان مكة يقولون : محمد صادق ، لم يعرفه الكذب ، محمد طاهر ، لم ينافر لونا من ألوان المنكرات ، محمد أمين زكت به الامانة ، عقل محمد شعلة تنوهج بالحكمة ، فكيف يقول : أنه رسول الله ؟؟

هل جن الرجل ؟؟ هل هو شاعر ؟؟ هل هو كاهن ؟؟

كلا ، كلا ، ان القرآن الذي ينطق به محمد معجز في بلاغته ، عجيب في فصاحته ، وليس من سجع الكهان ، ولا هو من اقوال الشعراء .

إذا ، ماذا ؟؟

لم يبق الا انهم كاذبون فيما يتهمون به ، وانه محمد رسول الله كما يقول ، وما دام الامر كذلك ، فلم لا نؤمن به نبيا هاديا . . ذلك كان حديث جماهير الشعب في مكة . . ثم ما عثم

العبيد ، والفقراء ، والمساكين ان سارعوا الى الدخول في دين محمد الذي ارسله الله لتخليصهم ، وتخليص الانسانية من بربرية : الظلم ، والطغيان ، والحرمان ..

اما الارستوقراطيون اصحاب رؤوس الاموال ، اما التجار المرابون .. اما هؤلاء فقد كانوا يعيشون في جو من قلق ، غامض ممزوج بالخوف ..

كانوا يتسقطون اخبار محمد ، وما يطلع به على الدنيا من تشريعات قرآنية ، ويجمعونها الى بعضها .

او !! انها الكارثة الساحقة التي لا تبقي لهم سلطانا .. ماديا .. ولا معنويا .. انها تحرم عليهم كل متعهم : النفسية ، والجسدية .

انها تحرم الربا ، وتحرم كنز الذهب والفضة ، وتحرم استغلال جهود الضعفاء ، وتحرم الزنا ، والمضاربات المصرفية انها تجعل للفقراء حقا معلوما في اموال الاغنياء .. انها تجعل الناس سواسية .. وانها .. وانها ..

ها !! لم يبق — بالنسبة لهم — شيء خفي يبحثون عنه .

ان رسالة محمد تقضي على امتيازاتهم ، ان دين محمد يأتي ببيان طبقيتهم من القواعد فينسفهم نفسا ..

وتداعى اغنياء قريش ، والمرابون ، والمضاربون ، و... و... الى اجتماع .

قالوا : دين محمد يذهب بوجاهتنا ، ويجعل من عبيدنا ائنادا لنا ، ويبدد ثرواتنا .. وقالوا .. وقالوا ..

ثم خرجوا من اجتماعهم يعلنون معارضة دين محمد .. ورسدوا لهذه المعارضة كل ما يملكونه من طاقات جبارة .. ولم يروا حجة تدعم قواهم الذاتية الا اظهار التمسك بالهتهم الحجرية .. وعاداتهم الجاهلية ، فأتخذوا منها وسيلة لمحاربة تعاليم محمد .. وهم انما يريدون حماية امتيازاتهم ، ومكاسبهم الطبقية من العدل الاجتماعي الذي تفرضه ثورة

محمد بن عبد الله .. صرخوا هادريين : ائسستم محمد آلهتنا ؟؟
ايسفنها لاننا نعبدها ؟؟ ايريدئسا أن نرفض عادات الاباء
والاجداد ؟؟ ان هذا لن يكون .. لن يكون .

واخذوا يحرقون المؤمنين بنار عداوتهم كلما استطاعوا الى
ذلك سبيلا .

وكان عبيدهم المؤمنون اشد الناس اضطرابا في جحيم كيدهم
.. لقد مدوا اليهم السياط تمزق جلودهم .. ومدوا اليهم
أسنة الحراب توسعهم تنكيلا ، وتفريهم بلسانها نعاجا ..
ولجوا في البطش ، والهمجية ، ولكنهم ذهلوا .. كادوا يجنون
لما رأوا سلوكهم الفرعوني ، الحاقد ، يزيد عبيدهم المؤمنين
بنبوة محمد بصيرة .. انهم يجعلون من كلمة : أحد ، أحد ،
جنة لهم من جحيم العذاب ، فاذا هم ، وكأنما لم يمسه عذاب .
ويجتمعون من جديد يتدارسون شؤونهم .

رأوا دين محمد يمتد امتداد الظلال عند الغروب .. أحسوا
نهايتهم تقترب .. لقد أصبحوا منها على خطوات .
فماذا يفعلون ؟؟

هل يغتالون محمدا ؟؟
ولكنهم اذا اغتالوا محمدا نشبت بينهم حرب أهلية يقودها
أبو طالب ووراءه سيوف بني هاشم ومن يواليهم ضدهم وفي
ذلك خطر ذابح على قریش كلها .
وأخيرا ، استراحوا الى فكرة جديدة .
قالوا : لماذا لا نضع ثقل متاعبنا على أبي طالب ، كافل محمد
وسيد الهاشميين ؟؟

وأستحسن الجميع الفكرة .. وبعد دقائق معدودات ، كان
وقد منهم عند أبي طالب يقول له :
يا أبا طالب !! ان ابن أخيك سب آلهتنا ، وعاب ديننا ،
وسئله احلامنا ، فأما ان تكفه عنا ، وأما ان تخلي بيننا ، وبينه .

وأجل لهم أبو طالب في الرد ، وقال : سأنظر في هذا الامر .. فتركوه راضين ، ومكتوا يرتقبون ..
ومضت أيام ، فأشهر .. ولم يطرا على مسلك محمد تغيير ..
دعوته ماضية في طريقها قدما رغم جبال العوائق التي
يقيمونها في سبيل .. فتنادوا الى اجتماع جديد ، وقالوا : ما
فعل أبو طالب شيئا ، ونحن أصبحنا على قمة الاتحاد الى
الهاوية ..

فقال أحدهم : وما يدريكم أن أبا طالب ليس على دين ابن
أخيه محمد ؟؟

أما سمعتم ما جرى بينه وبين ابنه علي ربيب محمد ؟؟
قالوا : ما سمعنا بهذا ، فهات ما عندك .

قال : رأى أبو طالب عليا يصلي مع محمد في مكان مهجور ،
فسأله : ما هذا يا علي ؟؟!!

فقال له علي : يا أبت !! آمنت بالله ، وبرسول الله ،
وصدقته بما جاء به ، وصليت معه ، وأتبعته ..

فقال بعضهم بغضب : وماذا قال له أبو طالب ؟؟

قال الرجل : لقد أجاب أبو طالب ابنه عليا ، فقال له : أما
انه لا يدعوك الا الى خير ، فالزمه .

وسرت هممة بين القوم : يبارك عمل ابنه علي ، ويؤكد له
ان محمدا لا يدعوه الا الى خير ؟؟ ما هذا ؟؟

فقال الرجل : رويدا ، ان القصة لم تنته ، فأصغوا .
فصمتوا يلهفون لسماع بقية القصة ..

فقال لهم : لقد مجد أبو طالب ابنه بالبيت التالي :

ان الوثيقة ، في لزوم محمد

فأشدد بصحبته ، علي ، يديكا

قالوا : هذا منكر .. لا نحتمله من أبي طالب .
فقال لهم الرجل : على رسلكم .

قالوا : هل من مزيد ؟؟

قال : نعم .

وأندفع يقول : وفي مرة ثانية ، رأى أبو طالب محمدا وعليا يصليان ، ولا ثالث معهما ، وكان معه ابنه جعفر ، فقال لجعفر : يا جعفر !! صل جناح ابن عمك ، فصل عن يساره ثم هب ينشدد :

ان عليا ، وجعفرنا ثقتي عند ملم الخطوب والنوب
لا نخذلا ، وانصرا ، ابن عمكما أخي ، لامي ، من بينهم ، وأبي
والله ، لا أخذل النبي ، ولا يخذله من بني ذو حسب

فهل أنتم سامعون يا سادة قريش ؟؟؟!

ان أبا طالب يعترف بنبوة محمد ، ويقسم أن لا يترك نصرته على نشر الدين ، وهو يلزم ولديه بالصلاة معه ، ويحضهم على نصرته ، بل انه يتبرا منهم اذا لم ينصروه ، تذكروا قوله :

والله ، لا أخذل النبي ، ولا يخذله من بني ذو حسب

فماذا أنتم راجون ، بعد هذا ، من الذهاب الى أبي طالب ؟؟
قالوا : ان ذلك ، هو النار التي لا نستطيع عليها صبرا . .
وارتفعت الاصوات من كل جانب مستنكرة عهل أبي طالب ،
وتفجرت قذائف التهديد بالموت من كل جانب .
وبعدما خمدت نار الغضب التي اشتعلت في الاعصاب ، قال أولوا التجربة منهم :

تعالوا نبحت الأمر بهدوء لا يخنقه دخان الغضب ، والصخب
اننا اذا أخذنا من السيف حكما بيننا وبين الهاشميين ، لا نأمن
أن تكون الدائرة علينا ، فتريشوا ، وتعالوا نبحت الامر ،
ونناقشه بأفكار مطمئنة . .

قال الثائرون : هاتوا نستمع . .

قال ، قائل منهم : أن أبا طالب ما زال يزعم انه على ديننا ،
وما دام هو يصرح بذلك ، فلنذهب اليه ، ونحاوره في أمر ابن

أخيه محمد ثانية ، ونسمع جوابه ، ومن جوابه نعلم برهانا على رسم خطة للعمل في المستقبل .

وبعد تردد .. وافق الجميع ..

ومضى وفد منهم الى أبي طالب ، ولما رأهم قادمين ، مشى اليهم ، يستقبلهم ، ويرحب بهم ، ويوزع عليهم ابتساماته قائلا: أهلا بسادة قريش ، وجلس معهم يدير عليهم الفكاهات ، والمداعبات ..

لم يتركوا أبا طالب يستمر طويلا في دعابه الفكاهية ، بل قالوا : يا أبا طالب !! ان لك سنا ، وشرفا ، ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيئك من ابن أخيك ، فلم تنته عنا ، وانا لا نصبر على هذا : من شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم صمتوا يلتمسون منه جوابا .

فماذا كان من أبي طالب ؟؟

كان أبو طالب يعلم : أن في أيديهم مفاتيح الاموال ، وكان يعلم أن في المال قوة تسوق عبيد الدرهم — وما أكثرهم — بعضاها السحرية . وكان يعلم أن إعلان اسلامه سوف يقطع خيط الرجاء العنكبوتي الذي يربطهم به .. وكان يعلم أن قطع ذلك الخيط ، يعني خلق يأس أحرق في نفس كل منهم يهملهم على المبادرة الى الحرب التي يتحاشاها الفريقان .. ولكن .. ماذا يكون نتاج الحرب لو وقعت ؟؟ أنهم سيتكالبون عليه ، يطوقونه كما يطوقون السوار المعصم .. وسيدفعون الاموال لذؤبان القبائل العربية فتشب معهم عليه .. كل هذا سوف يقع اذا قطع الخيط الذي يصلهم به .. وأذا فلن يكون نتاج الحرب الا تضییع الرسالة المحمدية ، لأنها ما برحت هلالا في يومه الاول بحجبه رغبة خفيفة من الضباب ، فكيف ، وهناك ، رؤوس الطفغان من قريش الذي يخلقون كل يوم سحباً من الظلمات ليطفؤوا نور الرسالة المحمدية .

ان على ابي طالب ان يختار سلوك طريق من اثنين : أما ان يجهر بأسلامه ، وذلك ضياع رسالة السماء ، بعد تقحم نهر من الدماء .. واما ان يكتنم اسلامه ويجاهلهم ، وفي مجاملتهم يستطيع حماية محمد ، وتحت افياء حمايته ينمو هلال الرسالة حتى يبلغ كما له ، ويعلم العالمين نوره .. ثم يكون له معهم اذا ظلوا ضالين - شأن جديد .

وبعد دراسة ، شملت كل نواحي السلب ، والايجاب ، قدر ان يكتنم ايمانه ، ويجاهلهم لذلك رق لسمم بالكلام ، ولطف ، واراهم منه بقدومهم فرحة الحقول بالطيور المفردة . اراهم ، انه ابو طالب بن عبد المطلب الذي لا يرضى الا ان يرئع السعادة يتدفق من كل بيت في مكة .. فأنس القوم به ، وتضاءلوا امام كياسته ، ومضوا ، فرحين ، مرحين . وبعد ذهابهم احضر ابو طالب ابن اخيه محمدا ، وحدثه بطلب السادة من قريش ، ثم قال له :

ابق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الامر ما لا اطيق رضي ابو طالب ان يواجه رسول الله بهذه الكلمات ليسمها عنه جبابرة قريش ، قال ابو طالب لمحمد ذلك ، واخذ يراقب بشعور رهيف حركات ابن اخيه .. ومرت لحظات ثقيلات من الترقب ، ولكن هو ذا محمد يتكلم .. فاذا جوابه يأتي كما يشتهي ابو طالب ، لقد قال له محمد كلمته التي ستظل رمزا ابديا يشير الى العزيمة ، الصلبة ، الابية : واللّه ، يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه ..

يا للنبوة المباركية تمتحن في وجودها فتجيب بالتصميم الراسخ ، والارادة الغلابة ، المستعلية .

يا لمحمد العظيم ، يعلن تحديه لاقيال : المال ، والشرك ، ثم ينظر في وجه عمه ابي طالب ، فاذا هو يراه سائحا بماء البشر والرضى .. واذا هو يقول له بتصميم كتصميمه ، وعنفوان

كعنفوانه : اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك
لشيء أبدا .. ثم افاض عليه من أعماق روحه هذه الابيات :

والله ، لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ، ما عليك غضاضة
وابشر بذاك ، وقر منك عيونا
ودعوتني ، وعلمت ، انك ناصحي
ولقد صدقت ، وكنت ، ثم ، امينا
ولقد علمت ، بأن دين محمد
من خير أديان البرية .. دينا

فأنشرح صدر محمد ، وسارت الابيات في قریش ، وكأنها
النسمة الغارية تحمل عبر الجنان ، وفي اعتقادي انه لم يبق
انسان في مكة ، لم يردد هذا البيت الذي يعلق بالذاكرة عفا
عند سماعه ، لصدقه ، وعذوبته .. أجل ، لا ارتاب ، أن كل
بشر سوي ، ذكرا كان أو أنثى ردد بنشوة تنفذ الى أصول
الحياة :

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية .. دينا

وذلك لحبهم محمدا منذ عرفوه ، ولايمانهم أن محمدا لا
ينطق إلا بالصدق ، هذا كان كامنا عندهم في اللاشعور ..
ولكن الانانية ، والفردية ، والاستكبار ، ولكن حب المحافظات
على الامتيازات الطبقية ، وحب كنز الذهب والفضة ، ولكن
حب الاحتكار ، واستغلال الجماهير التي تعيش من عرقها ،
ودمها .. هذه هي التي كانت تدفعهم الى محاربة محمد ، هذه
كانت — في التاريخ — وستظل طوفان الشرور الذي يغرق
العالم بالمفاسد ، والمجازر ، والمآسي .. وبعد ان سرت أبيات

أبي طالب في مكة عبرا قدسيا .. التقى أصحاب رؤوس المال ،
ومن يواليهم ، في اجتماع طاريء ، ومن جديد أيضا قال قائلهم :
الم أقل لكم ان أبا طالب مؤمن بدين محمد ؟؟
وينكر عليه قوله بعضهم ، ويستمر الخلاف بينهم بسبب ذلك
حتى يدخل في مرحلة التخاصم .
القائلون بإيمان أبي طالب ، وجدوا الحجة ، الطريقة ،
الفاصلة في قوله :

ولقد علمت ، بأن دين محمد من خير أديان البرية .. دينا

وأما الآخرون ، فكانت حجتهم : ان عاطفة الرحم ، ووصية
عبد المطلب هما اللتان تمليان على أبي طالب شعره ...
وتنازعوا طويلا ، وتجادلوا ، ثم عادوا ، فأبرموا رايًا جديدًا .
ذهبوا الى أبي طالب للمرة الثالثة يعرضون عليه امسرا
.. ، قالوا له : يا أبا طالب !! هذا عبارة بن الوليد ، انهد
فتى في قريش واثعره ، واجمله ، فخذ ، فلك عقله ، ونصرته
واتخذته ولدا ، واسلم لنا ابن أخيك ، هذا الذي خالف دينك ،
ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه آحلامهم ، وعاب
آلهتهم ، فنقتله ، فانما رجل ، برجل .. هم في هذا العرض
يقدمون اليه اشجع فتى عندهم ليتخذ منه ولدا على ان يعطيهم
محمدًا ليقتلوه ... وقد حرصوا مع هذا العرض ان يحركوا
في نفس أبي طالب عواطف ذكرى الآباء والاجداد . وانتقلوا من
تحريك المشاعر الى التحريض على محمد ، لانه ، خالسف
... حسب رأيهم ... دينه .

قالوا له : هذا الذي خالف دينك ، ودين آبائك .

بماذا يجيب أبو طالب هؤلاء القوم ؟؟

قال لهم : والله لبئس ماتسوموني ، اتعطوني ابنكم اغذوه
لكم ، واعطيكم ابني تقتلوناه ؟؟ هذا ، والله لا يكون أبد ..

وهكذا رفض ابو طالب عرضهم بلا تردد ، او خوف ، او مجامله .

لو ضعف ابو طالب لمح بصر امام قومه لانتهى محمد ورسالته .. ولكن ابا طالب قوة عارمة لا تلين عندما يكون الامر جدا .. انهم لو اعطوه جميع شباب مكة ، ومعهم كل كنوز مكة لما اعطاهم محمدا .

انه حينما يعطيهم محمدا يعلم انه يعطيهم كل معاني الخير التي صاغها الله من انوار رحمته لاسعاد البشرية .. انه يعلم انه اذا اعطاهم محمدا ، فأنها يعطيهم نبي الهدى ، أما هم فماذا يعطونه ؟؟

انهم يعطونه ظلمات الجبت ، والطاغوت التي تسجن الانسانية في كهوف الآلام ، والحرمان .. لذلك رفض طلبهم باصرار ولذلك نظر القوم الى بعضهم مشدوهين من عنف رده الحاسم .

وخيمت برهة صمت فقد كل منهم فيها قدرته على التفكير ، والمناقشة ... ويأتي الرد على ابي طالب من مطعم بن عدي احد حلفائه . قال له مطعم : والله ، يا ابا طالب ، لقد انصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما ارى انك تريد ان تقبل منهم شيئا .

يا للمفاجأة السارة التي اذهبت دهشتهم .. ها هم يربحون شخصية جديدة لها شأنها في قريش .. ويرى ابو طالب غبطة المشركين بكلمات مطعم فيتوجه اليه يسمه بهذه العبارات المزلزلة : والله ما انصفوني ، ولكنك قد جمعت خذلاني ، ومناصرة القوم علي ، فاصنع ما بدا لك .

ويقف اخرون الى جانب مطعم يعلنون بسخطهم على موقف ابي طالب من قومه .. وينهض الجميع من حضرة ابي طالب وينصرفون الى ناديتهم ، وهم يكادون يتميزون غيظا لم يتسرب الوهن الى نفس ابي طالب ، بل ازداد صلابه

ويتوالى يوم بعد يوم يسمع فيها ابو طالب اعدارا واهيه
يتذرع بها اثاره الذين تخلوا عنه ساعة العسرة ، فاذا هـو
يقول لهم .

الا ، قل لعمرو ، والوليد ، ومطعم
الا ليت حظي من حياطتكم بكم
ارى اخويننا من ابينا وامنا
اذا سئلا ، قالا ، الي غيرنا الامر
بلى لهما امر ، ولكن تخرجهما
كما جرحتم من راس (ذي علق) صخر (١)
أخص خصوصا ، عبد شمس ، ونوفلا
هما نبذانا ، مثلما ينبذ الجمر
وتيما ، ومخزوما ، وزهرة منهم
فكانوا لنا مولى ، اذا بني النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة

ولا منهم ، ما كان من نسلنا شفر (٢)
وما ذاك الاسود خصنا به
اله العباد واصطفانا له الفخر

هذه الابيات تبين لنا القوم الذين كانوا حلفاء طبعيين لابي
طالب بسبب القرابة القريبة ، ثم انصرفوا عنه واعانوا اعداءه
عليه ، ويرى ابو طالب ان الحسد هو الذي جعلهم ينقلبون
عليه ، لان الله اختصهم ، اي الهاشميين بالنبوة التي جاءت
ترفعهم فوق الخلائق اجمعين .

١- تجرهما : سقطا ، ذي علق : اسم جبل ، معنى البيت : ان بنسي
عبد شمس ، وبني عبد مناف ، اخوة الهاشميين قد تخلوا عنهم ، مدحسين
— كذا — انهم لارايهم — فسقطوا — بالنسبة لشرف صلة الارحام سقوط
صخرة من راس جبل (ذي علق) (٢) شفر : اهد ، يقال : ما في الدار شفر ،
اي اهد .

ثم يدعو ابو طالب الهاشميين ، وابناء عمهم من بنسى
المطلب الى اجتماع يتدارسون فيه التطورات الجديدة . .
والموقف الذي يجب اتخاذه . .

ويحضر الجميع ، ويخرجون من الاجتماع روحا واحدة فسي
جسد واحد ، كلهم وقف وراء ابي طالب عملاقا يفدي رسالة
محمد بالدماء الزكية ، والارواح الغالية .

نعم ، شذ من الهاشميين ابو لهب عم رسول الله ، لانه
كان يخشى — كما كان يخشى ابو سفيان ، وابو جهل ،
وعتبة ، و . . وغيرهم — ان يذهب انتصار محمد بماله ، ولقد
اعلمه الله ان ماله لن يغنى عنه شيئا حين ذمه بقوله :
(تبت يدى ابي لهب ، وتب ما اغنى عنه ماله وما كسبه .
سيصلى نار ذات لهب) .

وفي اجماع الهاشميين وبنى المطلب على شد ازر ابي
طالب ، يفخر ، فيقول .

إذا اجتمعت يوما قريش لفخر
فعبد مناف سرها ، وصميمها (١)
فان حصلت اشراف عبدا منا فها
ففي هاشم اشرافها وقديمها (٢)
وان فخرت يوما ، فان محمدا
هو المصطفى من سرها ، وكريمها
تدعت قريش ، ثنها ، وثمانها

(١) عبد مناف بن قصي اسمه المعبرة كان يسمى الفيض لكرمه ،
وكان له السفاية والرئاسة في قومه ، وكان يقال له : قمر البطحاء لجماله
(٢) هاشم بن عبد مناف واسمه : عمرو العلاء كان كريما تظل مائدته منصوبة .

علينا ، فلم تظفر ، وطاشت حلومها (١)
وكنا قديمها ، لا نقر ظلامه
إذا ما ثلوا صعر الخدود نقيها
ونحمي حماها كل يوم كريهه
ونضرب عن أجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء ، وأنمها
بأكنافنا تندي ، وتنموا أرومها

وبعد هذه القصيدة توضح في قريش حزبان : حزب
يقوده أبو طالب ومعه رسالة محمد ، وحزب يقوده رؤساء
قبائل قريش ومعهم الاصنام ، والثروات الضخمة ...



مواقف أبي طالب الصلبة في دفاعه عن رسول الاسلام

كان لأبي طالب وحزبه مكانة اجلال في قلوب رجال الحزب
الثاني .. تلك المكانة ورثوها كابرا عن كابر ، من هاشم
الى عبد المطلب .. وكان الحزب الثاني يعرف شجاعة
الهاشميين ، ويخشى مضارب سيوفهم .. يضاف الى
هذا شيء آخر ، كان يرتعد منه حزب قريش المشركه هو
العرب سكان البوادي الذين يحيطون بمكة .
كان العرب ينظرون الى ابناء مكة عامة نظرة اكبار يتخللها
لون من التقديس فهم عندهم — اهل الله — لانهم جيران بيته
فاذا اوقد المشركون « الحزب الثاني » نار حرب اهليه بينهم
وبين الهاشميين ، فان ذلك سيؤدي حتما الى انحسار
معنوياتهم من نفوس القبائل العربية ، فيتجرؤون عليهم ،

(١) تقدمت : نجمت .

وينهبون قوافلهم التجارية التى تمطرهم بالذهب ، ومن يسدري
فقد يغزونهم في مساكنهم ، كما يغزو بعضهم بعضا .
ذلك كان تفكير حزب قريش — حزب الغنى ، والارستقراطية
والشرك .

اما ابو طالب فانه لم يفكر في دخول حرب مع قريش الا دفاعا
عن النفس ، لانه ادرك — بعد الدرس الشامل الدقيق — ان
الحرب في ذلك الحين ليست في صالح الرسالة التى جاء بها
محمد من ربه العلي الاعلى . . فاذا ترك محمد يؤدي الرسالة
دون ان يتعرض له احد بأذى ، فهو راض . اما اذا ظهر
خطر يهدد محمدا ، فان ابا طالب سيقود المعركة بنفسه وليكن
الذي عليه اوله .

تلكم كانت تقديرات الحزبين ، وتقييم كل منهما لموقفه .
ووقف دهاة قريش ريشة في مهبط الحيرة ، والقلق النفسي ،
ماذا يفعلون ؟؟

ايتروكون مبادئ محمد تحتل البلد — تلك المبادئ التى
تنزل بهم من سادة تعنو لهم الرقاب ؟ الى اناس مثل كسسل
الناس ؟؟؟

ماذا يفعلون ؟؟

لو لا ابو طالب هذا الحصن المنيع الذي يضع محمدا في قلبه
ويحميه منهم لهان الخطيب . .
وتأمر القوم . . وتشاوروا . .
وسمع ابو طالب انهم قرروا ان يغتالوا محمدا . . ثم ينتهي
الامر . .

وبعد ان وصل اليه هذا النبأ بأيام ، تفقد محمدا ذات يوم
فلم يره

فماذا فعل ؟؟

ارسل ، فأحضر حجرات الاءاء من شبان هاشم ، وطلب
منهم ان يتلذذ كل واحد منهم سيفه ، ويسدل فوقه رداءه ثم

يذهبون فرادي ، ومن جهات متفرقة السى مجتمع قريش ،
وهناك يلزم كل واحد منهم راسا من رؤوس كفرة قريش ،
دون ان يثير شبهه ثم قال موضحا لهم السبب ، تفقدت محمدا
فلم ارد ، وانتم تعلمون ان هؤلاء الطفاة عقدوا العزم على
اغتياله . . وتابع فقال : انا ماض للبحث عنه ، فان لم اجده
جئت مجتمع قريش ، فاذا ابصرتموني ، فشدوا ايديكم على
مقابض سيوفكم ، فاذا رايتم يدي ترتفع ثم تهوي ، فاشرعوا
سيوفكم ، واقتطفوا الرؤوس قطفنا ، وحذار ان تنصرفوا عن
واحد منهم حتى يغدو حطاما .

وذهب الشباب الانجاد يصوغون امر ابي طالب واقعا حيا
. . وانطلق هو يتحسس محمدا في كل مكان كريم . . . ولم
يطل انتظار فتيان هاشم ، فقد شاهدوا ابا طالب يطلع من
احدى الطرق ، ومعه محمد رسول الله ، فتهللت وجوههم
فرحا . . ولما وصل ابو طالب نادى : يا معشر قريش !!

فالتفتوا ، انه صوت ابي طالب .

قالوا : ماذا يريد ابو طالب ؟؟

فقال : هل تدرون ما هممت به ؟؟

فقالوا : وقد امزعتهم المفاجأة : ماذا هممت ان تفعل ؟؟

فأخبرهم ، وطلب من فتيان هاشم ان يكشفوا عن السيوف
المخبأة . . ثم قال :

والله . لو قتلتم محمدا لما ابقيت منكم احدا ، او نتفانى ،
نحن ، وانتم .

ثم تركهم اخذا بيد رسول الله ، واحق به نجوم الاباء
من هاشم .



كانت كلمات ابي طالب ، وما فيها من عزم ، وتصميم شيئاً
 ضخماً ملاً قلوبهم هلعاً وامسك بالسيف منهم عن الكلام
 لقد كان موتهم محتملاً لو اعطى ابو طالب «شارة السر» فاخذوا
 يلهثون ، حتى لكان السيوف فوق اعناقهم .. وفي اليوم
 الثاني ، كان مجتمع مكة يفص بالقصيدة الجديدة التي يتهدد
 فيها ابو طالب قريشاً ان عرضت لمحمد بسوء ... أنه يقول

الا ابلغ قريشاً حيث حلت
 وكل سرائر منها غرور
 ماضي ، والضوايح عاديات
 وما تتلو السفاسرة الشهور
 لال محمد راع ، حفيظ
 وود الصدر مني ، والضمير
 فلسبت بقاطع رحمي وولدي
 ولو جرت مظالمها ، الجنور
 ايامر جمعهم ، ابناء فهر
 بقتل محمد ؟؟؟ والامر زور
 فلا ، وابيك ، لاظفرت قريش
 ولا امت رشادا ، اذ تشمير
 بني اخي ، ونوط القلب مني
 وابيضى ، ماؤه ، غدق ، كثير
 ويشرب بعده الولدان ، ريا
 واحمد ، قد تضمنه القبور
 ايا بن الانف ، انصف بني قصي
 كان جبينك القمر المنمي (١)

١ - هو قصي بن كلاب جد الهاشميين ، واسمه زيد .. كان بيت قصي
 ندوة العرب لا يتم امر الا فيه ، وكان يكره الظلم والبغي والغرور والحسد.

ويصفي حزب قريش الى القصيدة الحارة يلفحهم زفيرها
.. غير انهم لا يثيرون عليه قولا ... ولكنهم يلجون في ايداء
المؤمنين ، وفي المكر بمحمد رسول الله .

وفي يوم رأى ابن الزبيرى — احد شياطين الشرك — النبي
يصلى ، فجمع اقذارا ، والقى بها عليه ، وهو ساجد . ويأخذ
القوم بالتندر ، والسخرية ، ويفرغ الرسول من صلاته ،
وينطلق الى عمه ابي طالب جريح الخاطر ، يشكو اليه ما
حل به . . ويهتز ابو طالب لما يسمع ، ولما يرى ، ثم يثب الى
سيفه ، ويضع حمائله على عاتقه ، ويمضي مع محمد الى
القوم . . فلما راوه قادمين ، متابطا سيفه ، تضعضعوا ، وهموا
بالقيام ، فأسرع في خطوه ، وصرخ فيهم قائلا :

والله لئن قام رجل لا تصمنه بسيفي هذا ، فقبعوا في اماكنهم
.. ووقف على رؤوسهم يقول لمحمد :

يا بني !! من الفاعل بك هذا ؟؟

فقال : هو ذاك واشار الى ابن الزبيرى .

فهمج ابو طالب عليه ، ولطمه لطمه على انفه تركته يسيل
دما . . ثم لطمه بتلك الاوساخ . . وعطف على الباقيين يسر
بها على لحاهم ، حتى ، اذا اتى عليهم جميعا ، نظر الى محمد
وقال له :

ارضيت يابن اخي ؟؟ !!

وتسالني من انت ؟؟

انت النبي محمد
نسوة دين اكارم
قرم ، افر ، مسود
طابوا ، وطاب ، المولد

نعم الارومة اصلها هشم الريغة في الحفان ، وعيشى مكة انكد
فجبرت بذلك سنة فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج بها يماث العنجد (٢)
والما زمان ، وما حوت عرفاتها ، والمسجد
انى نسام ؟؟ ولم امت وانا الشجاع ، العربد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع ، اسود
وبنو ابيك ، كانهم اسد العرين ، توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً بالقول ، لا تتزيد
ما زلت ، تنطق بالصواب ب ، وانت طفل ، امرد

وخشعت قلوب الكفر ، والمال ، للتحدي ، الثائر ، الهادر ،
وهبطت القصيدة على مجتمع قريش ، ولا سيما المؤمنين
فراشات مجنحة ، مضخة بعبير الرياحين .. ولا بد ان
الاطفال كانوا يجتمعون حلقات عند المساء ، يرددون ، بأصواتهم
الرخصة :

انت النبي محمد قـرم ، اغر ، مسود
ما زلت تنطق بالصواب وانت ، طفل امرد

ولا يخالجنى الشك في ان الرعاة اتخذوا من هذه القصيدة
لحنا روحيا يفتونه بطاح مكة ، وجبالها :
انت النبي محمد ...

١ - هو عمرو بن عبد مناف ، ويسمى عمرو الغلاء لعلو رتبته ، وسمي
هاشما لانه اول من هشم الخبز ، وجعله ثريدا ، واطعم الجباة في عام
الجدب حتى اشبههم ، وكان سيد قومه بعد والده عبد مناف ، ويقال له :
سيد البطحاء ، واليه ينسب الهاشميون لانه جد هم (٢) يقول : انهم كانوا
يضعون التمر والزبيب في ماء ليحلو طعمه ويسقون حجاج بيت الله .

فتتهزط طربا ، وتنشعل سحرا ، ولا يخامرني الريب في انها
تجاوزت بطاح مكة لتملا ابعاد الجزيرة العربية سنابل حضارة
... وانفاس حرية .. ؟ ولا جدال انها — وهي يشدو بها
الشادي، ويحدو الحادي — وجهت افكار العرب الى مكة
اشدما يمكن ان تتوجه قلوب الناس وافكارهم الى حادث مبدع
جديد ، ولا بد ان التساؤلات بدأت تملا خيام القبائل : من
هذا النبي ؟؟

فاذا وجد من يقول : انه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
الهاشمي .. راح السائل يقول : انه نسب اغر ، محلق في
الثريا ، ويستأنف ، فيسأل : الى اي شيء يدعو ؟؟
هل آمنت به قريش ؟؟

هل ينزل عليه وحى من السماء ؟؟
اسئلة كثيرة ، منها ما وصل اليهم جواب عنها ، ومنها ما لم
يصل ...

كل ما عرفوه جملة .. ان القريشيين اختلفوا ، فمنهم من
آمن بنبوته ومنهم من كفر .. وان عمه ابا طالب ، صاحب
الشعر يتولى حمايته من كل معند اثم .



كان شعر ابي طالب يغزو النفوس بطراوته ، وحلاوته ،
وصدقه في قوله كل قوله ..

واذا كان كفرة قريش قد استطاعوا ان يقفوا حجابا كثيفا
دون انتشار الدعوة الحمديّة ، فان شعر ابي طالب قد اخترق
كل حجاب ، وتغلغل نسائم لطافا الى كل القلوب ، ولقد ادرك
طواغيت قريش ذلك ، انما ماذا يستطيعون ان يفعلوا ؟؟

هل لهم قدرة ان يسيطروا على جمالات الذوق عند الناس ؟؟
قالوا : ان شعر ابي طالب دعائية رصينة لمحمد — دعائية
جاذبة ترقى حتى يتملأها كل احساس .

وتذمروا من ابي طالب ما وسعهم التذمر .. واخذوا يقولون
كانها ينفسون عما في وجودهم من كرب ، وحقد هل صبا أبو
طالب ؟؟

انه يخاطب ابن اخيه فيقول له : انت النبي محمد .. ويقول
له : مازلت تنطق بالصواب .. هل صبا الرجل حقاً ؟؟

انه لم يعلن اسلامه ، ولم نره يصلى مع الرسول ، ولم
نسمع انه صلى معه ، ومع ذلك فان محمدا لا يقول عن نفسه
اكثر مما يقول عنه عمه ابو طالب . ثم يتساءلون :

هل هي عاطفة الرحم التي تعبدله هذا الطريق ؟؟ ام
ماذا ؟؟

ويتهكم اخرون على اصحاب هذه الفكرة فيقولون لهم :

ما بالكم يا قوم ؟؟ !!

هل جننتم ؟؟

تتهمون محمدا بالجنون ، وانتم المجانين .. ثم يتابعون ،
فيقولون ، مدللين على وجاهة رأيهم وسلامته : نحن نؤكد
ان عاطفة الرحم قد تدفعه لحمايته من سيوفنا .. ولكن هذه
العاطفة لا يمكن — مهما طغت — ان تدفعه الى الاعتراف
بنبوته اذا لم يكن مؤمنا بتلك النبوة .

ان عليكم ان تكونوا على ثقة مطلقة ان ابا طالب مؤمن
بنبوة ابن اخيه ، وشعره خير شاهد على ذلك ، ولكنه
يكتم ايمانه ، ويريك انه ما زال على دينكم ... وفي هذا ما فيه
من تخدير لكم عن منازلته ، وايهاكم ان عاطفة الرحم هي
التي تأخذ بخناثته وتضطره الى مسلكه الصارم ، فتجدون له
العذر الكافي في وقوفه معه لحمايته .

ويترك هذا الرأي اثرا ايجابيا في نفوس القوم .. فيحدث
لفظ .. وكما حدث سابقا ينفج بينهم باب للجدال في هذا
الشأن ، كاد ينقلب الى خصام ، وشقاق ... ثم تجمعهم

مصلحتهم في حزام واحد ، فيعودون الى القول : والان ما
العمل ؟؟

كانوا — وهم في سكرة الحيرة يضطربون ، ماضين في تنفيذ
خطتهم السابقة التي تتلخص في امرين !

١ — التصدي بعنف قاتل للمؤمنين بدين محمد .

٢ — رصد محمد لاغتياله ، ولكن بأسلوب مظلل بالفموض
يأمنون معه وثبة ابي طالب عليهم ..

وتمر الايام ، وهم ، هم ، في حيرتهم .. وعنفهم .. وترقبهم
.. ويترامى اليهم صباح يوم ان ابا السائب عثمان بن
مظعون قد دخل في دين الله . وعثمان بن مظعون له شأنه
وله خطره ، فهو شجاع ، وهو معروف بالحكمة .. ، وسينجم
عن اسلامه حركة تأييد احمد ، فزحفوا اليه يسلكونه في اغلال
التنكيل .. ويطير الخبر الى ابي طالب ، ان عثمان بن مظعون
يعذب في ذات الله ، فيلبس سلاحه ، وينقض عليهم عقابا
على قطا .. ويستله من مقامع العذاب ثم يقول في ذلك .

اممن تذكر دهر ، غير مأمون
اصبحت مكتئبا تبكي ، كمحزون ؟؟
ام من تذكر اقوام ذوي سفه
يفشون بالظلم ، من يدعو الى الدين
الا ترون ، اذل الله جمعكم ؟
انا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنح الضيم من يبقى مضيقنا
بكل مطرد ، في الكف ، مسنون
ومرهفات ، كان الملح خالطها
يشفى بها الداء ، من هام المجاني

حتى تقرر رجال ، لا حلوم لها
بعد الصلابة ، بالاسماع ، واللين
أوتوؤ منوا ، بكتاب ، منزل ، عجب
على نبي كموسى ، او كذي النون

وما ان يفرغ ابو طالب من قصيدته هذه ، حتى تتلقفها
الاذهان ، وتنداح في مجتمع مكة امواج من التساؤلات ماذا
فعلوا بعثمان بن مظعون؟؟
كيف يعذبونه ؟ وهو الرجل العاقل الحكيم؟؟
ان ابا طالب غضب له : اجاره منهم . . وها هو ذا يدعو
عليهم فيقول لهم : اذل الله جمعكم . . ويرددون البيت باعجاب
وحبور :

الاترون ، اذل الله جمعكم
انا غضبنا لعثمان بن مظعون ،

ويسرى بين القوم حديث هامس : ان دعوات ابي طالب
مستجابة مثل دعوات والده عبد المطلب ، ولا ريب ان الله
سوف يذل هؤلاء الذين يكيّدونه . . ولا ريب ان ابن اخيه
محمد الصادق ، الامين ، سوف ينتصر . . ذلك ، كان حديث
مجتمع الفقراء ، والمساكين ، والصالحين ، في مكة .
وكان جواب عبدة المال ، الطاغوت على تلك القصيدة ،
ولا سيما البيت الاخير الذي يصف القرآن بأنه منزل من الله
على نبيه محمد . . وانه يحدث في النفس انفعالات تخشع
القلب ، وتسحر العقل ، لذلك فهو كتاب عجب ، لم تعرف
الارض مثله كان جوابهم استكبارا ، وعتوا ، ونفورا .
قالوا : اذا كان ابو طالب يرى ابن اخيه نبيا ، فنحن لا نراه
الا شعرا يلبسه طائف من الجن . .

وقالوا : لن نؤمن بدين يجعل ارذالنا اندادا لنا . .
وبيناهم ، في صلفهم غارقون جاء من يقول لهم . لقد ربح
ابو طالب سيفا من سيوف بني مخزوم . . لقد اسلم ابن
عبيد الاسدي . .

وتوجع بنو مخزوم لهذا العار الذي لحق بهم . . وركض
وجوههم الى ابن عبيد ، ليعمدوه بنهر من حميم ، او يكفر
بمحمد . . فيجفل المخزومي الى ابي طالب يحتفي به . . وما
تلبث الا قليلا عند ابي طالب حتى جاء وفد من قومه المخزوميين
يطلبون من ابي طالب ان يسلمهم ابن عمهم ، وحجتهم ، انه
ليس من الهاشميين ليحيره ابو طالب عليهم .

قالوا : يا ابا طالب !! هبك منعت ابن اخيك محمدا ، فمالك
ولصاحبنا تمنعه منا ؟؟

فقال لهم : انه استجار بي ، وهو ابن اختي ، واذا انا لم
امنح ابن اختي ، لم امنع ابن اخي .

ويرجع المخزوميون يعصّف بهم غضب اسود يجعل افئدتهم
تنز الما .

ويذهبون الى عباقرتهم يطلعونهم على رد ابي طالب عليهم .
فيدمدون ثنائين : لقد تمادى ابو طالب في تأييد محمد . . ولقد
جمع استهتاره بنا . . لتريته اينما اشد كيدا ، واكثر ناصرا ،
وامضى عزما .

وتناجوا ، لتفرغ الى هؤلاء الذين يسمون انفسهم مؤمنين ،
ولناخذهم بالباساء ، والضراء .

وانسابوا ييطشون بالمسلمين . . كان عملهم تحديا سافرا
لابي طالب .

ولاذ المؤمنون بمحمد نبينهم ، فانحاز بهم الى عمه ابي
طالب . .

ويبدأ حوار عقلاني بين النبي العظيم ، وعمه البطل . .
واذا محمد يري راياء . . ويناقش الراي الحكيم بدقة ، فاذا

هو قبس حكمة .. ويطرح الراى امام المسلمين فينتابهم فاعمر
مذهل ...

قال لهم رسول الله : لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان
فيها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق ، حتى يجمع
الله لكم فرجا مما انتم فيه ..

ونظر المسلمون بعضهم الى بعض .
ايتركون الرسول في غابة الذئاب ، ويمضون هم الى دار
السلام ؟؟

ولكنه ، هكذا يرى ، وهو رسول الله ، وهم لا يرون — وقد
اصفى الايمان سرائرهم — بدا من تنفيذ امره .

وتبدأ الهجرة الى الحبشة في العام الخامس للبعثة المحمدية
وتتم على مرحلتين ، ويرتفع عدد المهاجرين حتى بلغ ثلاثة
وثمانين رجلا ، وثمانى عشرة امرأة .. وعلى اثر الهجرة تبدأ
الوساوس تنبت في ضمائر المشركين .

لقد خافوا ان تقوم للمسلمين قائمة في ارض الحبشة ،
فيعودون اليهم اقوياء ، اشداء .

وفي ناديمهم ينتظمهم اجتماع سري ينصرفون فيه الى تحلhel
الامر الجديد ودراسته .. وانهوا الاجتماع بعدمسا اجمعوا
على « خطة عمل » حسبوا انها ستكون سببا لجعل الدعوة
المحمدية ذكرى للذاكرين ..

تلك الخطة هي ان يرسلوا وفدا الى ملك الحبشة ويقدموا
اليه مع الوعد بعض الهدايا ، ويطلبوا منه ان يـهم اقاربهم
الضالين فيسلهم اياهم ، فيجئون بهم ، وقد يرون افضل من
ان ينحروهم قرابين لهبل ربهم الاعلى .

قالوا وقد نشط الحبور في اعصابهم اظن ابو طالب راحمدا
ان ايدينا لا تصل هم .. ولكن سيري ابو طالب وابن اخيه
محمد ومن معهم انهم لن يفلتوا من قبضة ايدينا ..
وضحكوا طويلا ..

وقال أبو سفيان . . لم يبق إلا أن نختار الوفد

ولكن ، من يختارون لهذه المهمة ؟؟

أنهم يريدون أن يكون رئيس الوفد رجلاً عنده دهاء ، وفي دهائه مكر ، وفي مكره كيد ، وفي كيده غدر . . وهو في غدره يتشبهى أن يدوس كل أقداس الإنسانية إذا خالها تحجزه عن تحقيق غايته . .

واخذوا يعرضون الاسماء ، وكلما اقترح اسم ، وجد من يقول : أن به خورا . . أو أن به ترددا . . أو أن لباقتنه في معالجة القضايا المعقدة تحتاج إلى توضيح أوفى . . أو . .

ويتطاول أحدهم بعنقه فيقول : أنا أقدم لكم اسم الرجل الذي يستطيع أن يقوم بهذه السفارة بينكم ، وبين ملك الحبشة على وجه تام الاتقان ، وفيه جميع الصفات التي انتـم عنها تفتشون .

قالوا : ومن هو ذاك ؟؟ قل ، فقد تعبنا من استعراض الاسماء . .

فقال : أنه عمرو بن العاص .

عمرو بن العاص ؟؟

واحضر كل منهم في ذهنه ابن العاص . . فإذا هم يوافقون على اختياره رئيسا للوفد بلا معارض ، وأصبحوه عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي . . وقالوا في عمرو غنى عن خمسين من الدهاة .

وفي جنح ليل، ينطلق الوفد إلى الحبشة ، ومعه الهدايا النفيسة . وترى ابنة عمرو بن العاص أباهما يعد نفسه لرحلة طارئة فتسأله إلى أين يا أبت ؟؟ !!
فيجيبها قائلا :

تقول ابنتي : اين اين ، الرحيل
وما البين مني بهستنكر ؟؟
فقلت : دعيني ، فاني امرؤ
اريد النجاشي ، فبي جعفر (١)
لاكويه عنده كيسة
اقيم بها نخوة الا صفر
ولن اثني عن بني هاشم
بما استطعت في الغيب والمخضر
وعن عائب اللات في قوله
ولو لا رضى اللات ، لم تمطر (٢)
واني لاشنأ قريشس لله
وان كان كالذهب الاحد (٣)

ويمضي عمرو بن العاص حاملا حقة العتيد لبني هاشم
ولمحمد خاصة الذي يعيب اللات ، ولدى وصوله الى بسلط
ملك الحبشة يطلب مقابلته ، فيسمح له بالدخول ، فيسلم
ويقدم الهدايا الى الملك ويطارقتة . . ثم يبدأ بتزويق عبارات
الاطراء للملك . . ثم خلص الى التحدث عن الغاية التي قصد
الملك من اجلها . .

حدثه عن المسلمين الذين لجؤوا اليه . . حدثه عن كفرهم
بالالهة . . حدثه عن تفريقهم جماعتهم . . حدثه عن اختلاقم
دينا جديدا ، غير دينهم ، وغير دين الملك ، ووسوس له شرا
خطيرا هو انهم سيفسدون عليه بلاده ، كما افسدوا مكة على

١ - هو جعفر بن ابي طالب الذي كان مرجع المهاجرين من المسلمين في
الحبشة ، والنجاشي : ملك الحبشة (٢) عائب اللات هو محمد رسول الله،
واللات من آلهتهم الضمنية ، يقول ابن عاص : اذا لم ترض اللات لا ينزل
مطر (٣) اشنا : ابغض .

هلعاً .. ثم رجاً منه ان يسلمهم اليه ، ليرى ابناء عمهم فيهم
أيهم .. فتجتمع بذلك كلمة قريش جيرانه ، ويحمدون له عمله
ويظل بلده ناعماً بالصفاء ..

ولكن النجاشي الملك جعل الخيبة تبطل براعة ابن العاص
حين قال ، احضروا جماعة المسلمين .

ولما حضروا طلب منهم ان يقدموا احدهم للكلام ، فتقدم
جعفر بن ابي طالب .

سأله النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ؟؟
فقال له جعفر : ايها الملك !! كنا نعبد الاصنام ، ونأكل
الهيئة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ويأكل القوي
منا الضعيف ، فبعث الله الينا رسولا منا ، فدعانا الى الله
نوحده ، وامرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم ،
وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن
الفواحش ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، ونأف المحصنات
امرنا بالصلاة والزكاة فصدقناه فعدا علينا قومنا فعذبونا
ليردونا الى ما كنا عليه وقهرونا فخرجنا الى بلادك ، واخترنك
على من سواك .

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟؟

قال : نعم .

قال : فاقرا علي .

فقرأ عليه بصوت دافئ مطلع سورة مريم

كان وقع الايات على الملك وبطارقته مؤثراً .. لقد دغدغت
تلك الايات عاطفة الايمان في قلوبهم ، فحركتها .. فاذا
هم يبكون .. اذا دموعهم تنسكب على لحاهم قطرات ندى
لعمق تأثرهم .. ورأى عمرو بن العاص ذلك ، فائقن ان كل
جهوده قد طارت هباءً ولبث ينتظر كلمة النجاشي الاخيرة ،
فاذا هو يقول : ان هذا ، والذي جاء به عيسى يخرج من
مشكاة واحدة .. ثم وجه كلامه الى ابن العاص وصاحبه

فقال لهما : انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم اليكما .
وهكذا ينفذ المجلس ، بعدما قلد ابن العاص طوقا من
الخدلان ولكن ، هل اندحر عمرو بن العاص ؟؟
كلا ! ان في جمبته سهما اخر مسموما ، سيرمي به المسلمين
فيصيب ، منهم المقتل ، ويظفر برضى النجاشي ، فيسلمهم اليه
قال لصاحبه : لاتينهم غدا بما استأصل به خضراءهم .
فقال له صاحبه ابن ابي ربيعة المخزومي ، لا تشغل
فان لهم ارحاما ، وان كانوا قد خالفونا .

انما ، هل يسمع ابن العاص نصيحة ناصح ؟؟
انه يريد ان يرجع بالقوم اسارى الى رؤساء قريش وسوف
يقتحم كل صعب لتحقيق هذه الغاية ، لاتعطفه رحم
ولا يبض قلبه بقطرة رحمة لقرابة .. يجب ان يجند لنيل
مآربه كل الوسائل التي تلقى بطلبته في شراكه .. ، لذلك
فانه استأذن في صباح اليوم الثاني ، ودخل على النجاشي
يقول له .

ايها الملك العظيم !! ان هؤلاء يزعمون ان عيسى بن مريم
عبد .. هذا قول عظيم يا جلالة الملك ...
هكذا ، يموج بقوة مشاعر النعمة في نفس الملك على
المسلمين ..

ولكن الملك ظل على اتزان ، ولم يغضب .. كل ما عمله
انه ارسل الى المسلمين ، فأقبلوا اليه يزفون ، فلما دخلوا
عليه قال لهم .

ما تقولون في عيسى بن مريم ؟؟
سؤال في جوابه حرج ، واي حرج ، ولكن جعفر بن ابي
طالب نهض يقول : نقول فيه الذي جاء به نبينا ..
فسأله : وماذا قال عنه نبيكم ؟؟

فأجاب قائلا انه يقول عنه : هو عبد الله ، ورسوله ، وروحه
وكلمة القاها الى مريم العذراء البتول

واستعظم ابن العاص جرأة جعفر ، واطمأن الى انسه
ظفر بصيده الثمين ، وصورت له شهوات نفسه ان الملك
سينقلب نارا تلتظي بال غضب . . واخذ في مراقبته . هو ذا
يريد ان يتكلم . . سيأمر بتسليمهم اليه . . وتكلم الملك ، فاذا
هو يقول — بعدما اخذ بيده عودا من الارض — ما عدا عيسى
بن مريم ما قلت هذا العود . .

ثم قال لجعفر ومن معه : اذهبوا فأنتم عندي آمنون .
وقال لاحد وزرائه : ردوا على عمرو بن العاص هداياه ،
فلا حاجة لنا فيها .

وقام ابن العاص مدحورا ، مذموما ، يتعثر في اذيال
الخرسان .

وسمع ابو طالب بهكر قريش ، وكيدها ، فاذا هو يكتسب
الى ملك الحبشة يرش عليه عبير النناء شعرا حسلا فيقول :

الا ليت شعري ، كيف في الناس جعفر
وعمرو ، واعداء النبي الاقارب ؟؟
وهل نال احسان النجاشي جعفرا
واصحابه ؟؟ ام عاق عن ذاك شاعب ؟؟

ثم يخاطب النجاشي فيقول له :

تعلم ، ابيت اللعن . انك ماجد
كريم ، فلا يشقى اليك المجانب (١)
تعلم ، بأن الله ، زادك بسطة
واسباب خير ، كلها ، بك ، لازب
وانك فيض ، ذو سجال غزيرة
ينال الاعادي نعمه ، والاقارب

١ ابيت اللعن : تحية الملوك ، ومعناه لا اصابك ما تكره .

وتستعير الابيات أجنحة من الضوء ، فإذا هي تسقط بعد
برهة قصيرة على ملك الحبشة ، فيقرأها .. يا للعزة !! حلم
مكتنز بالروعة .. سيد البطحاء ، أبو طالب الهاشمي ، عم
رسول الله يصدق عليه الثناء أطيبا .. انها لفخرة ساطعة
جعلت الفرحة تتفجر ينابيع في صدر النجاشي ، وجعلته يذهب
في اكرام جعفر ومن معه من المسلمين الى أقصى غاية الاكرام
.. فيكتب جعفر الى والده أبي طالب بذلك .. فيتألق
أبو طالب عافية .. وينشط الى نظم الشعر ، ويبعث بما
ينضده من در الى النجاشي ، وسرعان ما تصله الرسالة
الشعرية الثانية فيفيضها ، فإذا فيها :

تعلم ، ملك الحبش أن محمدا
نبي ، كموسى ، والمسيح بن مريم
انى بالهدى مثل الذي انيابه
فكل بأمر الله ، يهدي لعصم
وانكم تتلوننه في كتابكم
بصدق حديث ، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله ندا ، واسلموا
فان طريق الحق ليس بمظلم
وانك ما تاتيكن منا عصابة
لقصدك ، الا ارجعوا بالتكرم

لقد أحب أبو طالب النجاشي ملك الحبشة ، لما ينطوي عليه
من خلق سمح ، كريم ، وأحبه لآكرامه أبنه جعفرا ومن معه
من المسلمين ، وأحبه لانه أعاد عمرو بن العاص مخذولا ،
مقبوحا .. ومن قلب هذا الحب المطيب بالنقاء ، حتى لكانه
عسل مصفى .. جاء يدعو الى النعيم الابدي ، جاء يدعو
الى مراحع الهدى ، والنور يدعو الى الايمان بنبوة محمد ،
لانه نبي « مثل موسى ، وعيسى » وقرآن محمد نزل مصدقا

للحقائق الذاتية التي احتوتها الكتب السماوية التي أوحى الله بها الى الانبياء السابقين . . ولا يتركه مضطرب النفس ، بل يقدم له البرهان الثابت على نبوة محمد من انجيل عيسى . . ثم يدعوه بعد ذلك الى الاسلام الذي يرفع في المجتمع الانساني بناء اخلاقيا راسخا . . ثم يطلب منه ان يعبد الها احدا لا ثاني له ، لان خلق السماوات والارض ، وما فيهما وما بينهما ، يدل على اله واحد لا شريك له ، لذا فهو يقول له :

فلا تجعلوا لله ندا ، واسلموا

فان طريق الحق ليس بمظلم

ثم يختم شعره بببيت يطري فيه كرم النجاشي للمهاجرين من المسلمين ، فيخطبه قائلا :

وانك ما تاتيك منا عصابة

لقصدك ، الا ارجعوا بالتكرم

ابو طالب لا يحمل راية الجهاد في سبيل الاسلام فحسب بل يحمل راية الدعوة الى الاسلام ايضا ، فهوذا يدعو النجاشي المليك الى الايمان بنبوة محمد المذكورة في الانجيل ، ويدعوه الى توحيد الله ، وتنزيهه عن الشريك ، فيستجيب النجاشي لدعوة ابي طالب ، فيسلم ، ولكنه يكتم اسلامه عن بطانته المتعصبة للمسيحية ، وعندما يبلغ الرسول موت النجاشي يصلي عليه — وهو في المدينة — صلاة الغائب ، ويدعو له بالمغفرة والرفسوان .

ويسمع المترفون ، البطرون ، من قريش ، من ابي طالب الذي ارسله الى ملك الحبشة في المرة الاولى . . والثانية ، فينقلبون الى بعضهم متعجبين . . يتساءلون فيما بينهم :

ما هذا ؟؟

الا يكفي ابا طالب ان ينصر ابن اخيه علينا ، ويدعونا الى الايمان بدينه ، حتى يكتب الى ملك الحبشة — وهو مسيحي — يدعوه الى الاسلام ؟؟

وتتلون سحنهم ، حتى كأنها حرباء ..
ومن جديد يتساءلون مستغربين : كيف فعل أبو طالب ذلك ؟؟
أما خشي من النجاشي غضبه تدفعه لقتل المسلمين ، أو
طردهم من بلاده ؟؟

وراحوا يقولون : ان أبا طالب شجاع ، هذه حقيقة جوهرية
نعرفها فيه ، وفي البيت الهاشمي ، ولكنه يفلو في جراته حتى
ليصح ان تسمى طيشا .

ويصعد أبو سفيان نفسا حاقدا ويقول : لقد ذهبت بها
عريضة يا أبا طالب .. لقد ذهبت بها عريضة ..

وبيناهم يسبحون في بحر من التعجب يقوم أحدهم فيقول :
لا تعجبوا يا قوم !! ان ايمان أبي طالب .. ايمانه القلبي المطلق
بمبادئ محمد ، هو رائده في كل مايقول ، وفي كل ما يفعل ،
وسوف ترون ، وسوف تسمعون منه أكثر مما سمعتم ، ورايتم
كان أبو جهل يقوم ، ويقعد ، ويلهث ، كأن داء حادا يمتص
دم الحياة من قلبه قطرة ، قطرة .. وأخيرا أقع في زاوية من
النادي وغاص في أحوال وساوسه .. ثم اذا ضحكة هوجاء
تنبعث منه ، فتأخذ بأعناق القوم اليه ، ويسألونه : ما يضحك
يا أبا جهل ؟؟ !!

فقال : سأكفيكم محمدا .. وليكن الحشر الذي يخبر عنه
قرآن محمد فسألوه : كيف يا أبا جهل ؟ حذارا أن توقعنا مع أبي
طالب في حرب آكلة فقال : لا تخشوا غتنا سوف ترون ان
الجسد هشيم بعد فصل الرأس عنه .

وصمت .. وصمتوا .. دون أن يسألوه بيانا عن السر
الرهيبي الذي التوى عليه .

وفي اليوم الثاني أنسل أبو جهل يرصد محمدا .. حتى اذا
راه قد خُشع في صلاته ، انكب على حجر يحمله جهد طاقته ،
ويرفعه بين يديه ، يريد أن يطوح به على رأس محمد وهو
ساجد ..

وسجد الرسول ، وبرقت عينا أبي جهل بالفدر ، ورفع الحجر بأقصى ما يستطيع ، وأهوى به على رأس محمد ، ولكن ، ما هذا ؟؟؟ لقد لصق الحجر بيديه المتشنجتين ، فلا يفارقهما ، ويحاول أبو جهل مرارا أن يلقي الحجر على رأس محمد ، غير أن الحجر يتشبث بيديه فلا يزالهما .. وتنهزم شجاعة أبي جهل ، فإذا هو يبدو نافها أمام نفسه .. إذا هو ينقلب من جبار عنيد .. إلى صعلوك مهتدم .. إذا هو يحس أن الدم الذي يجري في عروقه قد استحال تيارا من الفزع — فزع يروي كل ذرة في وجوده ، فيبتعد عن الرسول مهرولا ، ويرمي بالحجر من بين يديه فينحدر إلى الأرض ، ويحدث وقعه دويا يزيد أبا جهل فزعا .. فيركض .. ويركض .. وكأن به جنونا .

ويراه أصحابه قادمًا ، وهو يكاد يتقصف جزعا .. فينهضون إليه يسألونه .

ما بك يا أبا جهل ؟؟ !! ما لوجهك خاويا من نقطة واحدة من الدم ؟؟ ما لعينيك تكادان تشبان من محجريهما ؟؟ ما أصابك ؟

كان أبو جهل يلهث تعبًا ، فزعا .. كان حلقه وشفتاه كأنهما رمال الصحراء من الجفاف ..

فأجلسوه ، وأحذقوا به متألين لما أصابه ، وقدموا له الماء يرطب شفثيه ، وحلقه ..

وعادوا يسألونه : ماذا دهك ؟؟

وبعد دقائق مترعات بالالام ، يتكلم أبو جهل — يتكلم وما تزال رعشة الخوف نغما باكيا في صوته — فيقول :

محمد . لقد سحرني محمد

سحرك محمد ؟؟؟

كيف ؟؟ انا لا نعلم له معلما في السحر .

فيقص عليهم خبره .. وإذا هم يستسلمون إلى ضحك متصل .. إذا هم يقولون له هازئين به :

انت جينت ، لملك تصورت أبا طالب يرفع سيفه فوق عنقك
ليحتزه ، فجئت تشدد ركضا ، وتركت محمدا ناعما بصلاته ..
وقال : وقالوا .. وانقسموا بين مصدق ، ومكذب .. ثم
تفرقوا يتحدثون بالخبر ، الطريف ، الغريب ..
وبلغ النبا أبا طالب .. فاذا هو يسجل معجزة حجر أبي جهل
في القصيدة التالية :

أفيقوا ، بني عمنا ، وانتهوا
عن الفبي ، في بعض ذا المنطق
والا ، فأنبي ، اذا ، خائف
بوائق في داركم تلتقي
تكون لمن بعدكم عبرة
ورب المفارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم
ثمود ، وعاد ، فماذا بقي ؟؟
غداة اتتهم بها صرصر
وناقة ذي العرش اذ تستقي
فحل عليهم بها سخطة
من الله ، في ضربة الازرق
غداة يعض بهرقوبها
حسام من الهند ، ذو رونق
واعجب من ذاك في امركم
عجائب في الحجر ، المصق
بكف الذي قام في جنبه
الى الصابر ، الصادق ، المتقي
فأثبتته الله في كفه
على رغم ذا الخائن ، الاحمق

هذه القصيدة أطلقها رسولا عنه الى ابناء العم من قريش . .
 انها قصيدة صاغتها عاطفة حب صادق يكنه لهم . . ابو طالب
 — وهو يخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم عاد ، وثمود ،
 حين كذب كل منهم رسوله — يقول لهم بلطف يتحلب ليينا ،
 ورقة :

أفيقوا بني عمنا !! وانتهوا

عن الفي ، في بعض ذا المنطق
 كم هو عذب آخذ بالقلب نداؤه : يا بني عمنا انتبهوا من غفلتكم
 فإن محمدا نبي الله حقا ، فلا تنسبوا ما ترونه من معجزات
 خارقة الى السحر ، فإن السحر باطل ، وتلك حقائق
 مصدرها الله رب العالمين ، وكلكم يعلم أن قريشا لم تعرف
 السحر ، فلم تتهمون محمدا بالسحر ؟؟

ولا نرى حرجا أن نتساءل : لماذا يوجه اليهم أبو طالب ذلك
 النداء العاطفي المشرق بالبهاء ؟؟

انه هو نفسه يجيب على هذا السؤال : انه يخشى ان يحل
 عليهم غضب من الله ان لم يؤمنوا بمحمد نبيا ، ومن يحل عليه
 غضب الله . فانه يهلكه ، خوفه عليهم من الدمار ، والنار ،
 جعله يقول لهم :

والا ، فاني ، اذا خائف بوائقي في دوركم تلنقي
 ولكن ، ماذا جنى أبو طالب من ذلك التحبب ، ومن ذلك
 التحذير ؟؟

لقد قابلوا عاطفته الخيرة بالاصرار على العداوة ، قابلوا
 حب الانسان ونصحه البريء بمخالب الانسان الوحش الذي
 تعرى من الانسانية .

قالوا : ارايتم كيف يستدرجنا أبو طالب للدخول في دين
 ابن أخيه محمد ؟؟

انه يخاف علينا مثل قارعة عاد ، وثمود ، اذا لم نشهد أن
 ابن أخيه رسول من الله .

ولكننا آذينا محمدا أعمق أذى ، ورفضنا أن نؤمن
بنبوته أقسى رفض ، فلم لم يدع ربه ليسقط علينا كسفا من
السما ؟؟

وقالوا : أبو طالب السذي يرى أن سحر ابن أخيه الذي
سلطه على أبي جهل معجزة الهية .. وهنا يرفع أبو جهل
رأسه الخفيض ليقول : أرايتم كيف يتهجم علي فيصفني بأني
أحمق ، لأنني تمهدت قتل محمد ؟؟

ويتصدى ثان فيقول : أبو طالب مؤمن بدين ابن أخيه — هذا
الدين الذي مزق وحدة مجتمعنا ، هذا الدين الذي يغير تفكيرنا
وعاداتنا ، معتقدنا — هذا الدين الذي يجعل خادم أحدنا مثلنا
في الحقوق والواجبات ، أبو طالب يعجبه هذا ، وهو يريد أن
يرينا أن دين محمد خير الأديان حين يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دنيا
ويتلون آخر بنار البغضاء فيقول : أن محمدا يستمد قوته في
ثباته من عمه أبي طالب ..

علا تذكرتم قوله حين خنع محمد للمذلة التي أكفأها عليه ابن
الزبير ، وذهب يشكوه إلى عمه ؟؟
لقد جاء أبو طالب يغلي غيظا ، وأهان ابن الزبير ، وكل
سادة قريش الذين كانوا حاضرين ، ثم أمسك بعنقه ابن أخيه
يقول له :

أنت النبي محمد قرم ، أفسر ، مسود
انه يريد أن يجعل من ابن أخيه شخصية معنوية يفرضها
علينا قرضا .

ويتحرك عمرو بن العاص ليقول : لقد رأيتم أبا طالب يدعو
ملك الحبشة المسيحي إلى الدخول في دين محمد ؟؟
وأنتصب آخر قائما فقال : أن أبا طالب يؤكد لهذا الملك
أن أنجيل عيسى نص على نبوة محمد .. ويقاطعه ابن العاص
فيندفع يقرأ قول أبي طالب بسخرية :

تعلم عليك الحبشي ان محمدا
نبي ، كموسى ، والمسيح بن مريم
وانكم تتلونونه في كتابكم
بصدق حديث ، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله ندا واسلموا
فان طريق الحق ، ليس بمظلم

ثم يعقب فيقول : هل أعجبكم ذلك يا قوم ؟؟

وتتعالى الضحكات .. ويشمخ التندر ..

ويقول قائلهم : لقد جن أبو طالب ..

ويفتح كل منهم جهاز ذاكرته ليتلو بيتا من شعر ابي طالب
في ايمانه في بنوة محمد .. ثم يجمعون على القول : لولا ابو
طاب لانتهينا من امر محمد منذ حين من الزمن .

ويتحمس أبو سفيان فيقول : الى متى نصبر على جنون هذا
الرجل ؟؟

ان الناس يدخلون في دينه افواجا ، وقد سمعت به كل
القبائل العربية .. وكثير من افرادها قدموا مكة فدخلوا في
دينه ..

انكم ، ان صبرتم طويلا فلن تشعروا الا والخيل تأخذكم من
كل جانب ، فتندمون ، ولات حين مندم ..

وارتفعت الاصوات : صدق أبو سفيان ، يجب ان نقسوم
بعمل نتخلص به من محمد وعمه ابي طالب .. فيقول خالد بن
الوليد : ما هذا العمل ؟؟

كلهم يبحث عن جواب على هذا السؤال ينزل شفاء على
الجراح التي أحدثها في قلوبهم بغضهم لرسالة محمد التي يرونها
تهمدا عليهم ، لانها تحرر الناس من الظلم ، وتجعلهم اخوانا .
ويجتمعون في اليوم الثاني .. وتبدأ الاقتراحات تتوالى
بسرعة ، حتى لكان القوم في معركة ، كل منهم يقذف بسهمه
على شبح العدو الجاثم وراء الخيال .

وجميع اصحاب الراي منهم تلك المقترحات في مصنف واحد،
ويأخذون بفرزها ، ودراستها ، واحدا ، فواحدا ..

كثيرون يرون ان يعلنوا على الهاشميين حربا يدمرونهم
تدميرا .. ونوقش هذا الراي على مهل ، ولكنه طوي ، لانهم
محصوه سابقا فتبين لهم ان نتائجه تستحوذ عليها ظلمات
الغموض .. وناقشوا مقترحات ثانية وطووها .. وانتهوا
من مناقشة الاقتراحات الى لا شئ .. ومن بين القوم يرتفع
صوت — لم يذكر التاريخ اسم صاحبه — فيقول : لنقاطعهم .
لقد ارتاحوا الى هذا الاقتراح .. وخيل لهم بلا تفكير ان
فيه لهم انتصارا ، ولكن ، كيف يقاطعونهم ؟؟

هل يمتنعون عن مجالستهم ، والكلام معهم ؟؟
وطفقوا يدققون في كلمة « المقاطعة » .. ويقلبونها على
شتى الوجوه ، فراوا ، انه لا مفر لهم من قبولها .
انما ، كيف يجب ان تتم المقاطعة التي تجلب لهم الظفر
المنشود ؟

ان في كلمة « مقاطعة » ابهاما ، لانها تعني اشياء كثيرة ..
وهم يريدون ان يحددوا لها معنى واضحا خاليا من الابهام ،
ليصبح الجميع على معرفة ، كيف يتقيسدون بها ؟؟ وكيف
ينفذونها ؟؟

ومن جديد يفتح باب الحوار على « المقاطعة » ، ويتراوح
تحديد معناها بين مد ، وهزر .. واذا القوم يهتدون الى تعريف
للمقاطعة يرضي حقدهم فيقولون : نقاطعهم ، فلا نشترى منهم
ولا نبيعهم ، ولا نتزوج منهم ، ولا نزوجهم منا ، او يعودوا في
ملتنا .. وبهذا اتضح ابعاد معنى كلمة « المقاطعة » ..
وعندما توضح هذا المعنى في اذهان الجميع هتفوا بسرور :
هذا هو الراي الصواب .. اتركوهم يموتوا جوعا .. او
يهاجروا من جوارنا .. او يعودوا الى راينسا .. وتنادوا :
هلموا ، نكتب بيننا عهدا على ذلك .. وكتبوا العهد ، ووقعوا

عليه ، ثم علقوه على جدار الكعبة ، تؤكدوا للحفاظ على العهد .
ان من عادة الناس أن يتعاهدوا على أمر ما .. جلبا لنفع
.. أو دفعاً لضرر .. كما توحى اليهم مصالحهم الذاتية ..
وقريش نفسها مارست هذا النوع من المعاهدات .. فقد
ابرموا بينهم حلفين قبل البيعة المحمدية ..

الحلف الاول سمي حلف « المطيبين » وخلاصته : ان هاشما
والمطلب ، وعبد شمس ابناء عبد مناف بن قصي نفسوا على
بني عبد الدار بن قصي ابناء عمهم أن يكون لهم الحجابة ،
واللواء ، والسقاية ، والرفادة التي خصهم بها والدهم قصي ،
ورأوا انهم أولى منهم بذلك ، لان لهم شرفا ، وفضلا في قومهم
اكثر من بني عبد الدار .. وحمي النزاع بينهم ، فاذا قريش
تنشطر قسمين : قسم مع بني عبد الدار ، وقسم مع بنسي
عبد مناف ، وتحالف افراد كل فريق ان لا يتخاذلوا ، وان لا يتخلى
أحد منهم عن الآخر .

و في الكعبة حيث جرى التحالف بين بني عبد مناف ومؤيديهم
قدم بنو عبد مناف جفنة طافحة بالطيب ، فكان القوم يغمسون
اكفهم فيها بعد العهد ، ثم يلصقونها بجدار الكعبة رمزا للثبات
على العهد ، فسموا ، لذلك المطيبين وتعاهد بنو عبد الدار مع
حلفائهم عند الكعبة أيضا فسموا الاحلاف .

وأخذ الفريقان يعدان للحرب عدتها ، وعبأ كل فريق طاقاته
الحربية ، ثم تصالحوا بلا حرب ، على أن : يأخذ بنو عبد مناف
السقاية ، والرفادة ، وان تبقى الحجابة ، واللواء ، والندوة
لبني عبد الدار ..

وأما الحلف الثاني : فقد كان الداعي اليه انصاف المظلومين
من زوار مكة : تجاراً كانوا ، أو حجاجا ، أو من أهل مكة نفسها
وكان أبطاله من الهاشميين ، ولا يفوتنا أن نذكر أن محمد
رسول الله حضر هذا الحلف الذي جرى قبل مبعثه ، ولم يدخل
في هذا الحلف بنو عبد شمس (الامويون) ، ولا بنو نوفل بن

عبد مناف ، وسمي هذا الحلف — حلف الفضول كما يقول ابن هشام ، لأن المتحالفين تعاهدوا أن ترد الفضول أي الاموال التي تؤخذ ظلما إلى أصحابها .. وتعاهدوا أيضا أن ينصفوا كل مظلوم من ظالمه ..

هذان الحلفان مرت بهما قريش ، قبل نبوة محمد بن عبد الله الحلف الاول وكان حربيا كما رأينا ، ثم انتهى بالصلح .. والحلف الثاني كان حلفا غايته اقامة العدل ، وسحق الظلم ، وقد بلغ من اكبار الرسول لهذا الحلف أن قال بعدما اجتباه الله رسولا : لو دعيت الى مثله لاجبت .

أما تحالف قريش الجديد ضد محمد وعمه أبي طالب ، وقومهما من بني هاشم والمطلب ، فإنه حلف ظالم ، لم يسبق له مثل في تاريخ العرب .

قد يستغرب كثير من الناس في زمننا هذا ، كيف اهتدى سادة « قريش الاستغلال ، والشرك » الى هذه المعاهدة الاقتصادية كما نسميها اليوم .

الحق أن ليس في الأمر غرابة — هم أصحاب رؤوس الاموال هم ضخام التجار الذين تتردد قوافلهم التجارية بين : الشام ، واليمن ، والحبشة ، والروم ، وفارس .. وهذه التجارة يسرت لهم انشاء المصارف ، وكنز الذهب ، والفضة .. ورأس المال مهد لهم السيطرة على اقتصاد مكة ، والجزيرة العربية ، وكانوا هم مصدر السلطة التشريعية ، والتنفيذية ، لانهم هم رؤساء قبائل مكة .

فأبو سفيان أكثر رجل ثراء في مكة كان رئيس الامويين ، وكانت عنده راية قريش التي تسمى « العقاب » فاذا اخرجها لحرب التف حولها فرسان قريش .

والحارث بن عامر كان رأس بني نوفل ، وكان له وظيفة الرقادة في قريش ، ومعنى الرقادة أن يفرض ضريبة على المكيين

.. ومن المال الذي يجمعه يطعم الحجاج الذين يؤمنون بيست
الله الحرام .

وعثمان بن طلحة كان رأس بني عبد الدار ، وكان لسه
وظيفتان :

١ — سدانة الكعبة أي خدمتها .

٢ — عقد الندوة أي أنهم كانوا يجتمعون عنده للتشاور فسي
الامور الطارئة الهامة .

وبزيد بن زمعة رأس بني اسد ، وكان في قريش بمثابة
قاضي القضاة .. كانوا لا يبرمون أمرا الا عادوا اليه ، فإذا
أمضاه نفذ ، وان لم يوافق عليه فإنه يصدر قرارا منه .

وخالد بن الوليد رأس بني مخزوم ، وكان يتولى نصب القبة
التي تتجمع عندها آلة الحرب ، وما يتعلق بها ، ثم يرثب هو
الجيش ..

وصفوان بن أمية كان قيما على الاستقسام بالالزام ، وهو
رأس بني جمح .

والحارث بن قيس رأس بني سهم كان خازن الاموال التي
جعلت وقفا على خدمة الاصنام .. الخ

هؤلاء كانوا ركيزة البناء الاقتصادي الذي يلقي ظله الكثيف
على مكة وما جاورها ، وثراؤهم الشامخ جعل لهم الصدارة
في حكم القبائل القريشية ، ومنهم ومن أمثالهم تكونت في قريش
طبقة تستأثر : بالفنى ، والمناسب ، والحكم . وانتماءهم الى
طبقة ارسقراطية متجانسة .. وحرصهم على الاستئثار
بمكاسهم الطبقية ، مزجهم ببعضهم ، وشكل منهم توافقا نفسيا
في الافكار ، والمشاعر ، والاخلاق ، والعقائد ، وطرز المعيشة
.. وهذا التوافق فرض عليهم موقفا اجتماعيا ، واحدا .. ومن
ذلك الموقف الاجتماعي الموحد الذي أوجبه مصالحهم المشتركة
انبعثت فكرة المقاطعة الاقتصادية الظالمة التي كفل تنفيذها
معامدة او دعوها الكعبة .

ولا ريب أن تطبيق المعاهدة سيضع الحزب الاول — حزب محمد وعمه أبي طالب أمام اختيارات أربع هي :

١ — أما أن يموتوا جوعا .

٢ — وأما أن يهاجروا من مكة .

٣ — وأما أن يتخلى محمد عن رسالة السماء فيسلم لهم المال ، والزعامة ، والرفاه المخمور ، المعريد ..

٤ — وأما أن يسلمهم أبو طالب محمدا كما جاء في أحد بنود المعاهدة .

ولا شك أنهم يفضلون أن يذر محمد دعوته ، فتعود أمورهم وأمور الهاشميين الى ما كانت عليه من صفاء .

فماذا يختار أبو طالب وابن أخيه الرسول محمد ؟؟

أما أن يترك محمد دعوته الرحمانية ، وما فيها من مبادئ وتشريع ، وأخلاق ، ورقي ، وحضارة ، فهذا أمر لن يكون .. ان الله اختاره نبيا ، ورسولا لحمل رسالة الملائكة الى بني الانسان ليجعلهم يسكنون جنات مفروشات بالعدل الاجتماعي ، والمحبة والاخاء ، والمساواة ، والتوحيد .. فهو لن يدع الرسالة التي اصطفاه الله لها . ولو ذبح . وصلب . وحرق ، وليس محمد أمضى تمسكا من عمه أبي طالب في تنفيذ أمر الله .

ورؤساء قريش السكاري بنشوة المال ، والسلطان ، لن يسمحوا بحرمانهم من امتيازاتهم ، ومكاسبهم الطبقية ، ما دام لهم يد بها يصلون .

وإذا ، فلا لقاء ، ولا سلام .. كل حزب ماض في الطريق الذي اختاره لنفسه ، لا ينحرف عنه ، ولا يقبل نقاشا ، ولا مساومة ، في مبادئه ، واحقيتها في نعيم الحياة .



نتائج المقاطعة

أصبح الهاشميون لا يجدون في مكة من يبيعهم من التجار ، ولا من يشتري منهم ، حتى صغار الكسبة ، لانهم مرتبطون بالعمالة الكبار ارتباطا يكاد يكون عضويا .

انهم يأخذون منهم القروض لتسيير شؤونهم التجارية ، فاذا خالفوا لهم امرا احجبوا عنهم تلك القروض ، وحجزوا اموالهم بما لهم عليهم من ديون . . فتبور تجارتهم . وينتهي بهم الحال الى الجوع ، والتشرد . . فهم خوفا من ذلك يرون انفسهم مجبرين بتنفيذ ما امروا به .

وما ترتفع الشمس الى منبر الضحى : حتى يشهد دار ابي طالب شبان هاشم ، والمطلب ، يأتونه افواجا ، افواجا . . يشكون اليه ذلك الكرب العظيم الذي غزاهم به المشركون . قالوا لعميدهم : يا ابا طالب ، لا طاقة لنا بتحمل ويلات هذه « المقاطعة » التي تحرمنا حتى مضغة الطعام .

ويستقبلهم أبسو طالب بابتسامة تخفي مرارتها اشراقة طمأنينة ، ويقول لهم ، ماذا ترون ان نفعل ايها الابطال ؟؟ قالوا : نعهد الى سيوفنا فنسلها . ولا نعيدها الى اغبارها حتى نتفانى . او ينتفضوا هذه الصحيفة اللعينة التي كتبوها . واثبتوها على جدار الكعبة . فيقول لهم ابو طالب : هو والله الراي . لو كان الامر وقفنا علينا ، وعليهم .

قالوا : ومن غيرنا وغيرهم له تطلع الى ما بيننا ؟؟ قال : رسالة محمد . . دين محمد الذي نقل الانسانية من متهات الضلال ، الى جنان الهدى ، ومن مساوىء الجاهلية الى محاسن المدنية . .

ان الذي اخشاه اذا لجأنا الى لغة السيف ان يقتل جميع المسلمين . فيكون ذلك انتكاسة للرسالة . هذا اذا حمى الله رسوله من الاذى .

وصمت الجميع ، وتبع الصمت خشوع مهيب ، لدى ذكر
محمد ، ودين محمد ، ولبثوا ينتظرون كلمة ثانية من أبي طالب
لبثوا ينتظرون رايه الحكيم .

ويحرك أبو طالب يده .. فتشرب اليه الصبر .. وتوسع
القلوب مسمعا ، فإذا هو ينهض قائما ليقول :

يا قوم !! انها محنة .. اننا نمتحن فيما احبناه عن مدينته
من عقيدة .. اننا نمتحن في حبا لمحمد رسول الله .

يا قوم !! هل ترضون ان يكون الله قد خلقنا ليعذبنا
وضلالهم ، منكم ، بالحق ، والبدى . والصور ؟؟

انسلمهم محمدا يقتلونه . وسنن بأيديهم كل من يدينه .
به من خير لنا ، وللعالمين ؟؟

هل ترضون بذلك ؟؟

فعلت الاصوات هديره في تلك الايام ، فاستأذنى ليعلم
ورسالته ، ان يمد يده الى أبي طالب ، فيمسكها ، فيجعله .

فقال أبو طالب : حيا الله نبيي هاشم ..

وأنا أقول : كلا : كذا قلتم . ان محمدا ورسالته هما الروح
بالنسبة لنا ، وهما : فإذا سخطينا عنهما مات وجودنا ، سنصبر
على المتألمة ، سنصبر على الموت يفتالنا كيدا ، كيدا . ونفوض
امرنا الى الله .

يا قوم !! ان رسالة محمد سوف تنتصر مهما طال الزمن ،
لأنها رسالة الله .. وهذا ما يؤكده محمد الصادق ، الامين ..
فصبرا على البلاء صبرا ..

وتفرق القوم ، وقد سكبت عبارات أبي طالب في قلوبهم
قوة يتحطم امامها كل طغيان .. وينقطع كل جبروت ..

وخلا أبو طالب الى نفسه .. اخذ الرجل الفذ يتبصر فسي
العواقب .. فرأى المقاطعة تضعهم في مقارة الجوع ، والآلام

.. .. وطفق يفتش عن رد يعطل ما بيتوا من كيد .. فما لاح
في افاق عقله بارق يمن الا الصبر ، ورحمة الله ..

نعم راودته تلة وهم حين تال : هل يثبت هؤلاء على ما
أبرموا من عهود ؟؟

الا يوجد بينهم من تهزه عاطفة قرابة ، أو صداقة ، فينقض
هذا العهد المشؤوم ؟؟

ثم راح يقول وعصر الالم يسيل من كلماته : الا ما اتعسهم
قوما !! محمد ، يريد أن يطهرهم من الرجس المخزي الذي
هم فيه فارقون غير فضون ، ويطلبون مني أن اسلمهم محمدا
ليقتلوه .

الا ما اتعس غبائهم حين يحلمون اني اسلمهم محمدا نبي الهدى،
والرحمة ، ليقتلوه !!

وتفاعل ما بنفسه من حسرة على هؤلاء الضالين مع عاطفة
الايمان وحبه لحمد ، ورسالة محمد ، فاذا هو يقول :

يرجسون منا خطية دون نيلها

ضراب ، وطقن ، بالوشيع ، المزم (١)

يرجسون ان نسفى بقتل محمد

ولم تختضب سمر العوالي ، من الدم

كذبتم ، وبيت الله ، حتى تفلقوا

جهاجم تلقى بالحطيم ، وزمزم

وتقطع ارقام ، وتنسى حليلة

حليلا ، ويفشى محرم ، بعد محرم

على ما مضى ، من مقتكم ، وعقوقكم

وغشيانكم في امركم ، كل مائم

وظلم نبي ، جاء يدعو ، الى الهدى

وامراتي ، من عند ذي العرش ، قيم

فلما تحسبونا مسلميه ، فمئله

اذا كان في قوم ، فليس بمسلم

١ - الوشيع القوم : الرمح ، يقال تظانوا بالوشيع ، وتضاربوا
بالسيوف .

واندفعت القصيدة اعصارا يجتاح كل بيت في مكة وراى
المشركون في ابي طالب عزيمة ماردة لاتخيبها الزعازع . وراوه
يستخف حلومهم عندما يهجس خاطرهم انه يسلمهم محمدا ..
انه يقول لهم : ذلك لن يكون ولو شمل الموت من عب الدماء .
يرجسون ان نسفى بقتل محمد

ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كم ردوا هذا البيت مكيرين شجاعة ابي طالب ، وحبه
محمدا .. وما مروا كراما ، باتهامه اياهم ، انهم يظلمون
نبي الله محمد الذي جاءهم بالهدى من الله رب العرش العظيم
وظلم نبيي ، جاء ، يدعو الى الهدى

واهرأتى ، من عند ذي العرش ، قيم
قالوا : دعوه يهذى برىب محمد ، ونبوة محمد ، دعوه يقول
مايشاء ، فانه هائد اليكم ، حينما يعضه الجوع بنابه الحديد ..
وتبضي الايام ... وتصبح في حساب الانسان شهورا ،
وعنقوان كل من الحزين يبدخ صلابة ، ويتسع عنادا ..
ويكر : ابي طالب جوار هؤلاء الكفرة ، الفجرة ، فيجمع
الهاشميين ، ويخطب فيهم فيقول :

لقد سئمت حوار هؤلاء الضالين ، وارى ان تباعد عنهم ، ونسكن
في شعب عبد المطلب .. انها هجرة صغيرة تبقينا في مكة ..
ثم سألهم : ماذا ترون انتم ؟؟

وبين مساء وصباح كان الهاشميون وحزبهم ينزلون ضيوفا
شم الاتوف على شعب عبد المطلب ، الذي سمى بعد ذلك
« شعب ابي طالب » .. وهكذا اتفرت مساكن الهاشميين من
اهلها ..

لقد انتقلوا ، رجالا ، ونساء ، واطفالا ، الى الشعب ..
كل رب امرة يستقر في مكان اثره على غيره .. وهناك
راحوا يطوحون الايام والشهور .. يجتمعون ... يتحدثون في
اوضاعهم المرهقة ..

كانوا يجدون في تعاليم الرسول ، عزاء يبرد لهب شعورهم الجريح . .

ومر عام ، عبوس موحش ، وهم في الشعب . . . ويدخل عام جديد ، يحمل في صحائف أيامه عسرا انكدرهاقا ، والم مذاقا . . وفي جلسة من جلسات ابي طالب ، على عرش الفكر ، الشاعر ، يرسل انسة الكبر ، المتمرد ، والبطولة المتحدة . . واذا بتلك الالة الزكية تتفتح قصيدة هي بمثابة رسالة الى اقاربه من « قريش الارستقراطية » .
انه يظرف معهم في افتتاحية القصيدة فيقول :

الا ، ابلغنا عني ، على ذات بينها
أؤيا وخصامن لؤي ، بني كعب

ويعد هذه الفاتحة التي تهىء الرغبات الى سماع ما بعدها ، ينتقل الى التحدث عن محمد ، فيعرفهم ، انه نبي كموسى ، وان صفته مذكورة في توراة موسى .

ثم يتبسط في اعلامهم عن محمد فيقول : ان الله اصطفاه نبيا ، وانه تعالى اتى عليه محبة منه ، ومادام كذلك فلا خوف عليه من جورهم . . ولا من الكتاب (اي الصحيفة) التي وضعوها في الكعبة توثيقا لعري المقاطعة . . . ويشبه قسرب زوال تلك المعاهدة ، بالزبد الذي يبسود على مشافر جمل جائع . هوذا يقول لهم مستفهما ، وفي استفهامه توبيخ مر :

السم تعلموا ، انا وجدنا محمدا
نبيا ، كموسى ، خطا ، في اول الكتب
وان عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وان الذي رقتهم في كتابكم
يكون لكم يوما ، كرائية السند

ثم يحاول ان يوخطهم من غفلتهم الجاهلية ، يحاول ان يردهم عن اصرارهم ، وعنادهم ، ويطلب منهم ، ان لا يصغوا الى اقنويل بعض الفجرة . . . ثم يهيب بهم ان لا يقطعوا صلات المحبة التي طالما جمعتهم الى بعضهم ، وان يراعوا ، ويقدسوا صلة الأرحام ، التي تجمعهم في جد واحد .

انه لجميل ان يقول لهم ، وفي قوله نعمة غضة ، تحرك المواطنين المتحجرة :

افيقوا ، افيقوا ، قبل ان تحفز الربى

ويصبح من لم يكن ذنبا ، كذى الذنب

ولا تنبموا امر الفواة ، وتقطموا

او اصرنا بعد المودة ، والقرب

وكأنها خشي ان يفسروا هذه النصيحة ، وتذكيرهم بروابط القربى ، على انها استعطاف يصدر عن فؤاد اهز له الحرمان وهصره الضائف ، فيطمعهم ذلك فيه ويطلبون منه ان يسلمهم محمدا ، لذلك كيلا يذهبوا في التفسير هذا المذهب ، عطف الابيات التالية على السابقة موضعا لهم : ان غرض الذين يريدون استمرار البفضاء بين الاقارب اشعال حرب تطحن رجاها الجميع . . ثم يمضي فيقول لهم : اننا لن نسلّم محمدا ، ولو صب الزمان علينا كل صروقه حتى نموت جميعا وتاكل لحومنا الضباع الكاسرة ، ولا نرى امتع مسن ان نورد الابيات التي عطفها على نصيحهم ان لا يطيعوا اصحاب النوايا السود ،

ونستجلبوا حربا عوانا وربما
أمر ، على من ذاقه ، حلب الحرب
فلسنا ، وبيت الله ، نسلم أحدا
لفراء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ، ومنكم ، سوائف
وايد ، أثرت ، بالمهند ، الشهب
بمعترك ، ضحك ترى كسر القنا
بسه ، والضباع القرع ، تعكف كالشرب

ثم يختم القصيدة بأبيات ثلاثة ، يذكرهم فيها نسبة الاغر
ليكون ذلك اعلق في قلوبهم ، واشد تأثيرا . .
انه يقول لهم : ان اباناها شما الذي تعرفون نداءه ، ومكانته
السامقة في قريش اوصانا ان نشرع رماحنا ، ولا نسكت على
ضيم ، يحاول الناس انزاله بناء ، وانتم تعلمون اننا فرسان
الموت ، وانننا حماة الديار ، وانننا اصحاب العقول الراجحة
والتدبير المؤيد للسداد ، حينما تضيق الدنيا على اهلها
وتشتعل نار الحرب ، واننا لانشكو عضها ، ولا نحلها ، بل
انها هي التي تملنا . وتشكو ثباتنا ، ونجدتنا لنسمعه
يقول لهم :

أليس ابونا هاشم شد أزره
واوصى نبيه بالطعان ، وبالضرب
ولكننا اهل الحفاظ ، والنهي
واذا طار ارواح الكماة ، من الرعب
ولسنا نمل الحرب ، حتى تملنا
ولا نقشكي مما ينوب من النكيب

ولا يستطيع سجن الشعب ان يقتل القصيدة ، بل هي
تتسرب مغ نسيمات الصبا العليقة الى مكة ، وتغدوا ، حديث
الجميع في مجالسهم واسمارهم .

ويتقبل حز... « قريش الاصنام » القصيدة ويرون فيها روح
الصدق الذي يمتاز به أبو طالب ، ولكنهم يفيضون منها بيتا
واحدا بيت واحد ينفذ الى قلوبهم سهما جارحا ، ذلك البيت
هو :

الم تعلموا ، انا وجدنا محمدا

نبيا كهوسى ، خط في اول الكتب

قالوا : ان كلام ابي طالب عن نبوة محمد يفصح ان له

اطلاعا على الكتب السماوية القديمة ... ولكنهم يرفضون كل
ما يجيئهم به محمد وعمه أبو طالب ، ولو كان مسلسلا من
عين اليقين ، لانه يقضي على مصالحهم الفردية : لانه يحرم
عليهم : الربا ، والاحتكار ، والفش ، واستعباد الفقراء
ولساكنين .. و... من اجل هذا يرفضون نبوة محمد ومن
اجل هذا سوف يستمرون في الرفض ، ويحكمون طوق
المقاطعة حول عنق ابي طالب ، ومحمد وقومهم حتى
يأتوهم صاغرين .

ويمضي العام الثاني ، اشعث ، أغبر ، ممزقا .. ويدخل
العام الثالث ، بارز الاتياب ، متحفزا للانقضاء ، واستلاب
الاوراح ..

ويجابهه سكان « شعب ابي طالب » بعزائم فتية سلاحها
الصبر المؤمن بالله ربا وبمحمد نبيا ..

كانت ايام العام الثالث تزلزل بما تحمله من جوع بائس
مطارح الاباء ، ومكان العزة .. كان المسلمون يتبلغون في
العامين الماضيين بما جلبوه وادخلوه ، حين اؤوا الى الشعب
حبات من التمر في اليوم للفرد منهم كسرة من خبز يابس متعفن
وهذا الزاد المسكين قد اشفى على النفاذ ..

كان امثالهم لامر سيدهم ابي طالب اثنى عندهم من نفوسهم
وابو طالب كان يريهم ان محمدا ورسالته اعلى عليه من قطعة

كبدته ، ومحمد بما القاه الله عليه من محبة ، وبما حملته من مهابة ، وبما جبله عليه من خلق عظيم محط اجلالهم واكبارهم . كان يتلو عليهم آيات زكيات من وحي ربه فتتشرح صدورهم وتبرد حرارة الجوع في اكبادهم وينسون ما هم فيه من بلاء وشقاء .

ولكن العام الثالث هذا ياتيهم بمروعات كافرة . . لم تمض اثمهر حتى نفذ ما ادخروه ، فماذا يفعلون ؟؟ كان بعض الاقارب في مكة يرسلون اليهم في ظلمات الليل ، يسيرا من طعام بين الحين والحين يمكن الروح من البقاء في الجسد الضاوي . . ولكن المراقبة الشديدة ، البقطة ، التي احكمها « طواغيت قريش » على الشعب ، منعت عنهم كل شيء . . وبالرغم من هذا فقد طردوا الياس حينما طلب منهم ان ينزل ضيفا عليهم . . .

قالوا له : سنذهبك ان عدت اليئنا ، سنعرف كيف نحيا لمبادئنا ، وعقائدنا . . . وقد عرفوا فعلا ، فانهم لم يحجموا ان يسلكوا في الحياة نهجا جديدا . . . لقد بدأوا ياكلون اوراق الطلع المرة . . واخذوا ياكلون ايضا جلود الحيوانات التي كانوا يستخدمونها للنوم ، والجلوس . .

ولا بد ان يتساعل انسان اليوم بشيء من الدهشة : كيف كانوا ياكلون جلود الحيوانات اليابسة ؟؟

يحدثنا التاريخ عن ذلك فيقول : ان احدهم كان يأخذ قطعة الجلد ، فيعربها مما عليها من صوف ، او وبر ، ثم يغسلها بالماء ثم يلوحها فوق نار هادئة ، ثم ينتقعها بالماء ثانية بعضا من الوقت ، ثم ياكلها .

تري ، هل عرف التاريخ اخلاصا انبل من اخلاص هؤلاء القوم لعقائدهم ؟؟

الا ما امجد القلوب المؤمنة براودها الموت جوعا ، فتستعلى عليه ، وتقابله بسلاح المبدأ ، والكبر ، المتمرد على الظلم ،

فينبهر الموت وقد امتلأ أعجابا واجلالا .. وفي هذه الفمرة
الداجية التي تطبق على سروات هاشم يخلص الى
رسالة شعرية جديدة ، فيطلبونها ، ليروا فيها آبا طالب
بعد هذا العسر المميت .. ويعد بحث مجهد يأتي من يقدم
اليها القصيدة ، فاذا هو بيدؤها بمخاطبتهم ، فيقول لهم في
خطابه لمسة عتاب عزيز .

السم تعلموا ان القطيعة ماتكم
وامرر بلاء ، قاتكم ، غير حازم
وان سبيل الرشيد يعلم في غد
وان نعيم الدهر ، ليس بدائم
فلا تسهين احلامكم في محمد
ولا تتبعوا امر الفواة الاثائم
تميتكم ان تقتلوه ، وانمسا
امانيكم هذي ، كاه لأم نائم
واكم ، والله ، لا تقتلوننه
ولما تروا ، قطاف للهي ، والجهاجم
وعتم ، باننا مسلمون محمدا
ولما نقالف دوننه ، ونزاهم
اميد ، حبيب ، في العباد ، مشوم
بخاتم رب ، قاهر ، في الخواتم
يرى الناس برهانا عليه ، ودية
وما جاهل في قومه ، مثل عالم
نبي ، اتاه الوحي ، من عند ربه
ومن قال : لا ، يقرع بها سن نادم

استمعوا الى هذه الرسالة الشعرية ، فاذا هم يرون اثرا
للأمل الذي كانوا به يحلمون ...

لقد حلموا ان نفس ابي طالب قد هان بعد هذه الاعوام
من المقاطعة .. ولكنهم رأوا ابا طالب قبل المقاطعة ، هو ، هو
ابو طالب بعد حوالي ثلاثة اعوام من المقاطعة ، الرهيبة
الخانقة .

قالوا : يا للعجب ، العجائب !!! سجناء في الشعب ... ،
وجاع حتى جفت عضلاته — جاع حتى اكل ورق الشجر المر —
جاع حتى اكل الجلود اليابسة .. وهذا ، هو ، مابرح على
عرش عنفوانه .. كأن لم يحدث شيء ..

ثم انكبوا على القصيدة يتمهدونها بيتا ، بيتا ، وبعد الفراغ
من التدقيق فيها ، قال احدهم :

أرايتم كيف يعاتبنا فيقول : اننا ارتكبنا ذنبا لاننا قطعنا جبال
القرابة ، والمودة ، .. ثم تدبروا قوله : ستعلمون غدا اينما
سلك سبيل الرشاد ، الا ترون في هذا تهديدا واضحا ؟؟

وبعد هذا التهديد الخفي يحاول ان يسدي اليها النصحية
بقوله : ان نعيم الدنيا زائل ، لا يدوم لاحد ..
ويقطع حديث هذا ابو سفيان ليقول : ليتك وقفت برسالتك عند
حدود التهديد ، والنصحية .

هل ماتكم قوله فلا تسفهن احلامكم في محمد .. انه يرانا
كعادته سفهاء لاننا لانؤمن برسالة ابن اخيه ونترك ما عبد
اباؤنا ، ونقدم للفقراء اموالنا ، ونرضى ان يكون عبيدنا اكفاء
لنا ، واخوانا ..

وهو ، لا يعزب عنه ان يعيدنا سيرته الاولى : انه لن يسلم
محمدا ، ولو تليت السيوف من قطع الرقاب .. فقال ابو
جهل : وبعد هذا يعرض علينا ابن اخيه — شأنه دوما وابدا
— نبيا ، ينزل الله عليه وحيا ، وهو لودعي ، لا ينسى ان
يزرع في اذهاننا شبحا مرعبا هو : ان من لم يؤمن بما يقوله
عن محمد فانه سيندم ندما علقا ،

بني اتاه الوهي من فسد ربه

ومن قال : لا ، يقرع بها ، سن نأثم
ثم مبنوا به قائلين : اذا فلتنح عنه نبوة محمد المقاطعة ،
ولتطمه من جوع ، وتؤمنه من خوف . . فتمطى احدثهم
وقال : يا قوم !! ان امر ابى طالب لمجيب ، انه يقدم ابنه
عليا ، وهو الفتى ، النابه ، فدى لابن اخيه محمد .
قالوا : يقدمه فدى لمحمد ؟؟ كيف ؟؟ اخبرنا !!

قال : لقد علمت امس من احد العيون ، ان ابا طالب
يفرش لمحمد فراشا ينيمه فيه امام جميع السمار ، فاذا
ذهب القوم ليناموا يجلب ابنه عليا ، ويضعه في فراش محمد ،
وياخذ محمدا فينيمه في فراش علي ، فاذا جاء احد يقتل محمدا
غيلة ، انه يقتل عليا ، ويسلم محمد . (١)

فتعالى الضجيج من كل جانب ، وقالوا : هكذا يضحي بابنه
ليسلم ابن اخيه . . حقا ، انه امر ، يدعو الى العبد .
ثم سألوا الرجل : وهل يرضى علي بذلك ، ام ان اباه
يلزمه به الزاما . . ؟؟؟

قال : لا ، ان عليا يفعل ذلك طيب النفس ، قرير العين ،
ولم علمت ان مساجلة شعرية دارت بين ابا طالب وابنه علي
في هذا الشأن .

قالوا : ما هذه المساجلة ؟ هات ، اسمعنا .
فتنح الرجل وقال : ذات ليلة قال علي لابيه يا ابي ، اني
مقتول !!!

فاذا والده يصارحه : انه يريد ان يكون فدى لمحمد
رسول الله ، ويطلب منه الصبر على جلال التضحية ، اسمعوا
ما قال له :

١ - راجع صفحة - ٧٧ - من كتاب « ابر طالب » هم الفير لمجد المير
سيد الامل ، ط ، اولى - القاهرة .

أصبرن ، يا بني !! فالصبر ، أحجى
كل حي ، مصيره لشعوب (١)
قد بذلتك ، والبلاء شديد
لفداء الأعز ، ذي الحسب الثاقب
والباع ، والكريم ، النجيب
أن تصبك المنون ، فالنبيل تبرى
فمصيب منها ، وغير مصيب
كل حي ، وإن تملئ ، بعمر
أخذ من مذاقها ، بنصيب

نهتفوا قائلين : ما هذا ؟؟ لقد اشرفت نبوة محمد في شعر
أبي طالب . . ان هذه الايات من لعاب قرآن محمد . .
فقال أبو سفيان : مالنا ، ولهذا ؟؟ اخبرنا ، ماذا قال علي
لابيه ؟؟

قال : لقد اجاب علي اباه فقال .

اتاهرنسي بالصبر ، في نصر احمد
ووالله ، ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني احببت ، ان تنصر نصرتي
وتعلم ، اني ، لم ازل لك طائعا
سأسمى ، لوجه الله ، في نصر احمد
نبي الهدى المحمود ، طفلا ، وياقما

٢ - شعوب ، علم للفنية . معنى البيت : اصبر يا بني ، فمهلك جدير
بالصبر على الموت فدى لحمد رسول الله ، لان الموت هو النهاية التي يصير
اليها كل انسان .

قالوا : ان شأن كل من الاب ، والابن ، لمدهش .. اب يقدم ابنه فدى لانسان آخر ، وابن يحمى اباه لانه يريد ان يجعل من روحه ناديا لذلك الانسان . هذا امر لم تعرف له الدنيا شبيها غير ابراهيم ، وابنه اسماعيل ..

فقال عتبة : ان اخلاصهما للدين الذي جاء به محمد ، هو الذي يجعلهما يقبلان على ذلك طوعا .. و .. ويقطع خالد بن الوليد على عتبة حديثه فيقول والان علام صممت ؟؟

قالوا : سنمضي في المقاطعة حتى يفتحوا عيونهم ، ويروا مكاننا ، وينزلوا على رغباتنا ، واذا لم يضعفوا بالرغم مما ينوشهم من ضيق عاصف ، فهل نضعف نحن اكراما لعواطف ابي طالب ، ونحن سادة قريش ، والينا امرها ؟؟

وتمر الايام ، وكانت ظلال غيوم تسوقها ريح كينة .. ويقدم اليها ابن هشام في المجلد الثاني من سيرته الحديث التالي فيقول : ان ابا طالب واجه « سادة قريش الاصنام » فقال لهم : يا معشر قريش !! ان ابن اخي اخبرني ، فقال ، يا عم ! ان ربي الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما لله الا اثبته فيها — اي تركته — ، ونفت منها الظلم والقطيعة ، والعدوان .

فقلت له : اريك اخبرك بذلك ؟؟

قال : نعم .

فجئت اليكم لاقول لكم : ان كان مقتل ابن اخي حقا ، فانتهوا من مقاطعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وان كان كاذبا ، دقمت لكم ابن اخي .

فقال القوم : رضينا ، فتمعنوا على ذلك . وذهبوا الى الصحيفة ، فاذا هي كما قال رسول الله .

فقالوا . هذا سحر ابن اخيك ، واصروا ، واستكبروا استكبارا .

ويمضي أبو طالب إلى الشعب مثلهل الوجه ، يقص علي
القوم اخبار الصحيفة ، فتمم البهجة ، الجميع ، وينسون ما
هم فيه بلاء . ؟ وهم في ذروة بهجتهم ينشد أبو طالب :

يا شاهد الله !! علي ، فاشهد
اني على دين النبي احمد
من ضل في الدين فاني مهتدي

ولم لا يفتبط أبو طالب ؟؟
الم يثبت لفراعة قريش صدق ابن اخيه محمد رسول
الله ؟؟
الم يروا رأي العين ان الارضة اكلت كلمات المقاطعة ،
الظالمة ، وابقت الكلمات الرحيمية ؟؟
اذا ، فما بمنه ان يرح ، ويرتجز ويفني القوم معه
كلماته بفرح غامر

يا شاهد الله ، علي ، فاشهد
اني على دين النبي احمد
من ضل في الدين فاني مهتدي

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟؟
لقد استمرت المقاطعة . ؟ ويحدثنا الطبري في المجلد الثاني
من تاريخه فيقول : ان ابا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ،
ومعه غلام يحمل قمحا ، يريد به عمته خديجة بنت خويلد
زوجة الرسول ، فتعلق به ، وقال : اتذهب بالطعام الذي
بني هاشم ؟؟
فقال له البخترى ، وكان قريبا منهما : طعام لعمته عنده
بعثت اليه ، افتمنعه ان ياتها بطعامها ؟؟

خل سبيل الرجل ..
فأبى ، ولم يتركه أبو جهل ، إلا بعد أن ضربه أبو البخخري ،
ونال منه نيلاً شديداً .

ثم تتلاحق الأخبار — في مكة عن سكان الشعب — قصيدة
أبى طالب ، نوم علي في فراش الرسول يفديسه بنفسه ..
الصحيفة التي اكلت حروفها الأرضة .. صدق محمد عن
الصحيفة — قصة حكيم بن حزام وأبو البخخري ، وأبو جهل —
اكلهم ورق الشجر .. فتفاعل تلك الأحداث في نفوس القوم
فإذا هي توجد تذمرا ، وصخبا .. إذا هي تلقح الأفكار
بببقة جديدة ، وتوجهها شطر أبي طالب ، وابن أخيه الرسول
محمد ، ويتحدث الينا ابن هشام في المجلد الثاني عن أثر ذلك
التفاعل في النفوس فيقول :

ان هشام بن عمرو ابن أخى نضله بن هشام بن عبيد
مناف ، يمشي الى زهير بن المغيرة ، وأمه عاتكة بنت عبد
المطلب فيقول له : يا زهير !! ارضيت ان تأكل الطعام ، وتلبس
الثياب وأخوالك الهاشميون حيث علمت يمنع عنهم الطعام ؟؟
أما اني احلف بالله لو كانوا أخوال أبي جهل ، ودعوتيه
الى مثل ما دعاك اليه منهم ، ما أجابك اليه .

فقال زهير : ويحك يا هشام !! فماذا اصنع ؟؟ انما انا
رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقيت بنتقضا حتى
انقضها .

قال : قد وجدت رجلا

قال : فمن هو ؟؟

قال : انا

قال له زهير : ابغنا رجلا ثالثا .

فذهب الى المطعم بن عدى من بني عبد مناف ، فقال له :
يا مطعم !! ارضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف وانست
شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟؟

أما ربه لو أمكنتموهم من ذلك لتجدنهم اليها منكم
سراعا .

قال : ويلك ، ماذا اصنع ؟؟ انما انا رجل واحد .

قال : وجدت ثانيا

قال : من هو ؟؟

قال : انا .

قال ابغنا ثالثا

قال : قد فعلت .

قال من هو ؟؟

قال : زهير بن امية المخزومي .

قال : ابغنا رابعا :

فذهب الى ابي البخري بن هشام ، واعاد عليه نحو ما

قاله امامهم ، فقال : وهل من احد يعين على هذا ؟؟

قال : نعم .

قال : ومن هو ؟؟

قال : زهير بن امية المخزومي ، والمطعم بن عدي ، وانسا

معك .

قال : ابغنا خامسا .

فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد ، فكلمه ،

وذكر له قرابنتهم ، وحقهم ، فقال :

وهل على هذا الامر الذي تدعوني من احد ؟؟

قال : نعم ، وسمي له القوم . .

وفي موضع باعلى مكة اسمه « خطم الجحون » اجتمع

الخمسة ليلا ، وتعاهدوا على نقض الصحيفة ، وتحمس زهير

بن ابي امية المخزومي فقال : انا ابدؤكم ، واكون اول من يتكلم

واستيقظت مكة صباحا لتشهد احداثا جساما . . لم يمض

من النهار الا اقله حتى راي البيت الحرام الزجال الخمسة

يطوفون به مع الطائفين . ثم شاهد الناس زهير بن امية

المخزومي يقبل عليهم بوجه صارم ويقول :
يا اهل مكة !!

فأصفي الحاضرون جميعا الى هذا النداء ، يقولون ثم
انفسهم : ما الخبر ؟؟

ولم يتركهم زهير يفتظرون طويلا ، ليطلع عليهم بنبأه الجديد
بل اندفع يقول بغضب :
انأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكي .؟؟

والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة ، الظالمة .
فقال له ابو جهل ، وكان في ناحية من المسجد : والله
ان تشق ..

فقال زمعة بن الاسود : انت والله اكذب ، ما رضىنا
كتابتها حيث كتبت .

فقال ابو البخثري : صدق زمعة لا ترضى ما كتب فيها ،
ولا نقره ..

قال المطعم بن عدي : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك
نبرا الى الله منها ، وما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو مثل ذلك ، فبهت ابو جهل وقال : هذا
امر دبر بليل .

واسرع المطعم بن عدي الى الصحيفة ، ونزعها عن جدار
الكعبة ، ثم شقها مرقا ، ورمي بها الى الارض بعصبية ...

كان ابو طالب حاضرا في المسجد يصفي الى الحوار الغاضب
... وما ان شقت الصحيفة حتى انطلق الى الشعب يزف

الى الهاشميين ، النبأ الطري ، البهيج ..

قال لهم : لقد مرقت الصحيفة ، فانتهى بذلك كل عهد ابرموه
على مقاطعتنا .. وقص عليهم ما حدث .. ورات مكة بعد

ساعات من شق الصحيفة بني هاشم ، وبني المطلب يعودون
اليها ، شامخي القابات .. اعزة الوجوه ، وعلى راسهم

سندهم ابو طالب ، ونبههم محمد ، فتأنس الديار بالفطاريق

الانجاد ، وتنفض عن اعطافها غبار الكابة والوحشة ، وتلطف
دنيا مكة ، وتعذب .. ويعود زهو الامل الوضيء الى الجماهير
الكادحة ، من الفقراء ، والمساكين والعبيد .

ها ابو طالب يعود ، وبين يديه ابن اخيه النبي العظيم
الذي يجاهد ليعموبهم من وهاد المذلة ، والعبودية ، والحرمان
الى قمة الكرامة ، والحرية ، والمحبة :

ويهل التاريخ ان يسجل : ان ذلك كان اول نصر لنبوة محمد
على : الاصنام ، وجاهلية المال ، والتسلط .. وما ان تدمل
جراح ابي طالب النفسية ، حتى يتذكر مهاجري المسلمين
في الحبشة ، فاذا الحنين يطير به اليهم عامة والى ابنة
جعفر خاصة ، واذا عاطفته الرقيقة ترسل هذه النفثات التي
يتشهى فيها ابو طالب ، ان يكون سمع اولئك الذين قطعوا
البحر ، واستقروا في الحبشة ، صنع الله في قريش
لنصغ اليه يقول :

الا ، هل اتى بحرنا صنع ربنا
— على نايهم — والله بالناس ارود
فيخبرهم ، ان الصحيفة ، مزقت
وان كل ما لم يرضه الله مفسد

ثم يفخر فيقول :

فمن ينش من حضار — مكة عزه
فعزتنا ، في بطن مكة انكـ
نشأتا بها ، والناس فيها قلائل
فكلنا بها نزداد خيرا ونحمـ

ثم ينتقل نبي الهدى والرحمة محمد فيقول عنه :

**الا ان خير الناس نفسا ووالدا
اذا عد سادات البرية احمد
نبي الاله ، والكريم باصلة
واخلاقه ، وهو الرشيد ، المؤيد**

ويقبل مجتمع قريش على هذه القصيدة التي اخذنا منها
بضعة ابيات اقبال العطاش على الماء .. ان به لهفة البسى
سماع شعر ابي طالب بعدما انفلت من حصار الشعب ..
فاذا ابو طالب يتجلى لهم من خلال قصيدته فرحا بنصر الله
على الجبارين من قريش .. ويروونه يفخر بحق انه في
الذروة من قريش نسبا .. وانه امرهم عزة ، واسخاهم
يدا .. ثم راوه يبارك محمدا .. فيصفه بأنه سيد السادات في
العالم كله ، وانه — وهو نبي الله — انبل الناس نفسا وابا ،
وخلقا وانه مؤيد من الله الذي ارسله الى العالمين رحمة
وسلاما .

ويجتمع افراد كل طبقة في مكة الى بعضهم يرددون ابيات
القصيدة .. ثم يهتف افراد كل فريق : لله درة ما امجده شعرا
وما امجده داعيا الى الاسلام ، وما انور ايمانه بمحمد
ونبوة محمد .

اما « جباروا المال والشرك والفردية » فقد هرعوا الى
ناديهم ينسجون المؤامرات .. ويحكونها .. عشر سنوات
مرت لم يتعبوا من التآمر .. والاذى .. لم يخلجوا من
ظلم عراهم من قدس الانسانية يصيبون به بني هاشم حتى
اوشكوا ان يقتلوهم رجالا ، ونساء ، وصبية ، جوعا ،
لو لا ان جعل الله لهم مخرجا ..

تواصوا هذه المرة باللين ، فجنحوا لها . فقصدوا محمدا
يعرضون عليه ان يجعلوه عليهم سيذا . وان يعطوه من كنوز

الأمالي حتى يرضى .. فرفض العرض بكياسه ، ووضح السبب
قال لهم : بعثني الله اليكم لتؤمنوا به لها أحدا ، وتنتيدوا
بما شرعه من احكام ، لتؤمنوا انتم والناس كافة بسعادة
الجسد ، والروح .. وان تؤمنوا اني رسول الله .
فتركوه — وعادوا ، يتجمعون ، ويتدارسون رفض محمد ،
وطلبه منهم .

قال ابو سفيان متهمنا نعم ، سمعنا ان يجعل بلال العبد
الجبشي مثل ابي سفيان سيد بني امية .. وان يجعل فسي
اموالنا حقا معلوما لاراذل الناس .. اني ارى ان محمدا
يريد ان يخرجنا لا من الظلمات الى النور ، بل من معاقل
عزتنا ، وسؤددنا ، حتى يجعلنا من صغاليك العرب :

وحرك هذا الكلام حمية النخوة الجاهلية فيهم فصرخوا :
هذا لن يكون مادمننا احياء .. ولو لا ابو طالب لذبنا محمدا
عند قدمي هبل ..

وتتعاقب الايام ، وهم يبيتون من المكر اخيئه .. وبيناهم
بين فصائل مكرهم يعمهون .. جاء من يقول لهم : ان ابا
طالب مريض ..
ابو طالب مريض ..

انها بشرى تطفح نفوسهم لسماعها سرورا .
وشناع خبر مريض ابي طالب في مكة . وامسك نبي الله
محمد والمسلمون انفسهم .. وامسك الكفرة من قريش
انفسهم ايضا ، الرسول ، والمسلمون يخافون ان يتخطف
الموت ابا طالب فينهدم الحصن المنيع الذي يحتمون به ،
والمشركون يتلهفون ان يسمعو خبر موت ابي طالب ليميلوا
على المسلمين ميلا قادرة ، ويبطشوا بهم .. وتنقل وطاة
المرض على ابي طالب ، ويرى انه تارك هذا العالم الى رياض
رحمة الله ، فيدعو السادة من قريش : مؤمنهم ، وكافرهم

ليحضروا عنده ، فيلبون الدعوة ، وكل يهمس في اذن اخيه
ماذا يريد ابو طالب ان يقول لنا ؟؟

ويهش ابو طالب للجميع ، ويرحب بهم ، ثم يلقي عليهم
وصية تنبع الحكمة من كل كلمة من كلماتها ، نأخذ منها ما
يأتي :

قال لهم : يا معشر قريش !! انتم صفوة الله من خلقه
وقلب العرب ، وفيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ،
واعلموا انكم لم تتركوا نصيبا في المآثر الا احرزتموه ، ولا شرفا
الا ادركنتموه ..

بعد هذه المقدمة اللطيفة شرع بالقاء وصيته فقال
لهم :

واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية — الكعبة — فان فيها
مرضاة الرب ، صلوا ارحامكم ، ولا تقطعوها ، فان صلة
الرحم منسأة في الاجل ، وزيادة في العدد ، واتركوا البغي
والعقوق ففيها هلكت القرون قبلكم .. اجيبوا الداعي ،
واعطوا السائل ، وعليكم بصدق الحديث ، واداء الامانة .

وبعد ان يلقي عليهم هذه الوصية الخالدة التي تتضمن كل
جملة منها موجة من النور الهادي ، المذهب ، للنفس ، والضمير
والخلق بعد القاء — هذه الوصية التي كتبها الاسلام فسي
دستوره ، حرفا ، حرفا ، يثني بوصية ثانية : اعلى . واعلى .
من كل ثمين ، انه يوصيهم بمحمد رسول الله فيقول :

واني اوصيكم بمحمد خيرا ، فانه الامين في قريش .
والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به .
دونكم يا معشر قريش ابن ابيكم ، كونوا له ولاة ، ولحزبه
حماة .

ثم يشير الى صدقه في نبوته ، والى انه لا يؤمن برسالته
اخذ الانوار في قلبه ازاهير السعادة فيقول حالفا بالله : والله
لايسلك احد سبيله الا رشد .. ولا يأخذ احد بهديه الا سعد .

ثم يبدي حزنه الاليم ، لان الله لم يمهل له ليكافح عن الاسلام ،
حتى ترتفع شمسُه ، وتنير العالم قاطبة فيقول ، ولو كان
للنفس مدة ، وفي اجلى تأخير ، لكفت عنه الهزاهز ، ولدأمنت
عنه الدواهي ...

وتفرق المجتمعون يذيعون وصية ابي طالب ، وتتحدث
عنها كل فئة بما يستوى مع وعيها .. وصفاء قاباليتها ...
ويخلو مجلس ابي طالب الا من خلاصة الهاشميين ، فينظر اليهم
بحنان ، ويوصيهم فيقول :

يا معشر بني هاشم !! اطيعوا محمدا ، وصدقوه
تفلحوا ، وترشدوا .. وبعدما امرهم جميعا بتصديق محمد
فيما جاء به من عند الله ، وبطاعته فيما يأمر ، لان في تصديقه
وطاعته فلاحهم ، ورشادهم يتوجه بوصية خاصة الى اربعة
من الهاشميين هم : ولداه : علي ، وجعفر ، واخوه
الحمزة ، والعباس فيقول :

اوصي ، بنصر نبي الله ، اربعة
ابني عليا ، وعم اخير العباسي
وهمزة الاسد المفضي صولته
وجعفر ، ان تؤدوا ، دونه الناسا
كونوا — فداء لكم امي ، وما ولدت —
في نصر احمد ، دون الناسي ، اتراسا

ثم اغمض العينين الكريمتين اللتين طالما سهرتا على رسول
الله ، ورعته ، وسعدتا بمرآه : طفلا ، وشابا ، ونبيا ...
ويمضي على فينهي الخبر الى رسول الله ، فيبكي التماسي
همه العظيم ، ويطلب من علي ان يفسله ، ويكفنه .. ثم
جاء الرسول ، ويمشي في جنازة عمه ، ويرثيه ، فيقول :
وصلتك رحم يا عم ، وجزيت خيرا ، فلقد ربيت ، وكفلت

صغيرا .. ونصرت ، وازرت كبيرا .. اما والله لاستغفرن لك ، ولا شفغن لك شفاعا يعجب لها الثقلان .
ومن قلب باك ، موجع يندبه فيقول : وا ابناه ! وا اباطالباه
واحزنانه عليك يا عم ، كيف اسلو عنك يا من رببتني صغيرا ،
واحبتني كبيرا ، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة ، والروح
من الجسد ؟؟ .. — ١ —

بهذه العبارات الباكيات ودع محمد رسول الله عمه ابا طالب .. بهذه العاطفة النبوية الرحمانية بكى محمد عمه ابا طالب — بكى فيه شرف الاخلاص لرسالته الالهية ، بكى فيه نبل التضحيات التي لم ير الاسلام اقدس منها روحا ولا اكرم غاية ومقصدا ، بكى فيه العم الحبيب المؤمن الذي سقت بطولاته شجرة الاسلام حتى امتدت جذورها ورسخت وظللها بجماع وجوده من نار الطفيان حتى شمخت اغصانها وانصرت ..

يبكى الرسول في عمه تلك المعاني الباسقة التي حضنت الاسلام ، وحنت عليه حتى صار فتيا .. ابو طالب ، وهو كما رايناه عند ابن اخيه محمد رسول الله ، ابو طالب ، وهو الذي عرفناه في سيرة حياته التي مرت مربيا للرسول ، حانيا على الاسلام ، ومؤمنا به ، وداعيا اليه ، ابو طالب ، وهو كل ذلك التراث العبقري .. يمتد اليه الحق الاموي ، فيجعل منه كافرا ، لم يؤمن بنوة محمد صلى الله عليه وآله .
لقد اتهم احبار اليهود عيسى بالكفر ، صلبوه .. وهكذا اتهم

١ — توفي ابو طالب عن ستة وثمانين عاما ، ومات في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وكانت وفاته بعد خديجة بثلاثة وسمي الرسول هذا العام : عام الحزن ، وقال : اجتمعت علي في هذه الايام مصيبتان ، لا ادري بايهما انا اشد حزنا .

ابو طالب ، وهلب على خشبة الكفر ، مع فارق هو : ان عيسى كان حيا عندما اتهموه . . اما ابو طالب فكان قد مضى على وفاته سنون طوال . . ومع فارق ثان هو ان الفايصة من اتهام عيسى وصلبه ان يتخلص احبار اليهود من تعاليمه التي تحرر الشعب من استغلالهم ، وسيطرتهم . . اما ابو طالب فقد اتهم لالذاته . . ولكن بغضا لولده على بن ابي طالب . . وكما ظهرت براءة عيسى مما نسب اليه . فقد ظهرت براءة ابي طالب مما نسب بعدما انطوت راية امية . . بعدما درست الاحاديث . ونفسيات مرتزقة معاوية . الذين وضعوا الاحاديث ، وارتضى كل منهم ان يجعل من شخصيته مطية ذلولا لمعاوية بن ابي سفيان .



غاب وجه على بن ابي طالب . . وترنح معاوية في كرسى الحكم . . فاذا المرتزقة يطفون على السطح . . بعدما كانوا قابعين في القصر

هم يعرفون معاوية . . ويعرفون الاساليب التي وصل بها الى الحكم . . وهم ليسوا فرسان ليدلوا بمكانتهم الحربية على معاوية . . وليسوا من السابقين الى الاسلام ، او المجاهدين في سبيله ليثيروا الى سيقهم ، وجهادهم . . ولا يحسنون قول الشعر ليهزوا معاوية بهذا جههم . . ليس عند احدهم منقبة ترفعه عند معاوية ، وتجعله يسيط علىهم من نعيم دنياه . . ولكن . . ايظلون خارج سوق الانتفاع . ومعاوية ، وحاشيته ، وبنو سفيان ، وبنو امية غارقون حتى الاذنان في منابح المال ، والسلطان . والشهوات ؟؟ . ايعجزون من هندسة ، ونحت سلم يعرجون فيه الى سدة معاوية ؟؟

لم يتبهوا طويلا في زوايا التفكير . بل هدتهم غريزة حب الانتفاع الاصيل فيهم الى ما يبتغون . .

راوا ان عمد حكم معاوية ماتزال مضطربة مع وجود
السيف المسلط ، والدماء الرهيف .. والفدر الماكر
راوا ان تشيتها يحتاج الى شيء اخر غير منظور — الى
شيء معنوي منبثق من ذات الاسلام .

ان الاسلام يعتمد على ركيزتين اساسيتين هما : القرآن
الحكيم ، واحاديث الرسول .. اما القرآن فلا سبيل للزيادة
عليه ، لانه مدون قبل غيبة الرسول ، فهو محفوظ من هنا
.. ومحموظ بقوله سبحانه ، انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له
لحافظون ..

واما احاديث الرسول ، فانها لم تدون .
واحس هؤلاء بنشوة الفرح تحلق في صدورهم .. لتد وجدوا
القوة القاهرة التي تخضع معاوية ، وتجعله يقربهم اليه ،
ويمنحهم المال ، والمناصب .. ومن هنا بدا الفزل المشيوه
.. بينه وبينهم ...

كانت مكانة علي بن ابي طالب في الاسلام نصلا حادا يتحرك
في قلب معاوية .

قراءة علي من رسول الله ، سبقه الى الاسلام ، جهاده
الضخم في سبيل الاسلام ، اقوال الرسول فيه حتى لتكاد
ترفعه الى الافق الاخضر الذي يحتله صاحب الرسالة
نفسه .

منها قول الرسول : يا علي !! لا تحببك الا مؤمن ،
ولا يفيضك الا منافق — ١ —

ومنها قول الرسول لجبريل في غزوة احد عن علي : انه مني ،
وانا منه ، فقال جبريل ، وانا منكما .. — ٢ —

١ — راجع من صحيح مسلم الجزء الاول صفحة ٦١ (٢) راجع المجلد الثالث
من تاريخ الطبري صفحة ١٤٠٢ .

ومنها قوله : علي مع القرآن والقرآن مع علي لايفترقان
حتى يردا على الحوض (١)
ومنها قوله : من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهم ، وال من
والاه ، وعاد من عاداه (٢) ، ومنها .. ومنها ..
بينما كان علي هو هذا المثل الاعلى في احكام الله ورسوله
.. كان معاوية طليق ابن طليق (٣) ، وكان معاوية —
المؤلفة قلوبهم (٤) .

كانت كل فضيلة من فضائل علي تزرع في اعصاب معاوية
جمرا لا ينطفئ ، من القلق ، المرهق .. ماذا يفعل ليزحزح
مكانة علي من قلب الاسلام ؟؟

ماذا يفعل ليشوه سمعة علي عند جماهير المسلمين ؟؟
حسد يشوية .. حقد يأكله .. اموية جاهلية تقيمه ، وتقعده
ماذا يفعل ؟؟ ماذا يفعل ؟؟

لم يغب عن المرتزة ماكان يعتدل في وجود معاوية
من البغضاء لعلي ، لم يغب عنهم انه كان يخشى ان تعود
خلافة المسلمين بعده لابناء علي لانهم ابناء الرسول الذين
اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وهو لا يرضى
ان يكون — خليفة — المسلمين الا امويا ، سفيانيا .

١ — راجع صفحة ٧٣ .. من كتاب نـور الابصار .

٢ — راجع المجلد الخامس من المقد الفريد صفحة ٥٨ .. تحقيق محمد
سميد المريان المصري . (٣) عندما ارغم من بقي من رؤوس « قريش المال ،
والاصنام » على فتح مكة امام الرسول خطب فيهم فقال : ماذا تظنون اني
فاعل فيكم ، قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم ، قال : اذهبوا فانتم
الطلقاء ، وكان منهم معاوية وابوه . (٤) المؤلفة قلوبهم فئة من الناس دخلت
الاسلام كرها ، فجعل الله لهم سهما في الزكاة تاليفا لقلوبهم حتى يسكنوا
الى الاسلام ، وكلا يثيروا الشقاق والفتن بين المسلمين وكان منهم معاوية
ووالده ابو سفيان .

كانوا يعلمون كل حلجة تتشاب في خاطر معاوية ..
وها هي ذي الفرصة المواتية للاستغلال ، والظهور
تسبح لهم . فهل يتركونها تمر دون ان يصيدوها بشباكهم ؟؟
بيد انهم راوا فيها يريدون ان يفعلوه شرا يصغر عنده كل
شر .. راوا فيه خيانة لله ، ولرسوله ، وهما لمبادىء
الاسلام ..

انهم على وشك ان يخلتوا احاديث عن رسول اللل عامدين
.. والرسول قال : من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
في النار ..

فتوقفوا .. تهييوا دخول هذا المعترك الجهنمي .. ولكن
توقفهم كان آتيا ... اذ مالبت معاوية ان لوح لهم بالذهب
الواهج ... وترف الجاه ، والسلطان .

فتأججت مطامعهم في سدورهم . بعدما خبت .. وانطلقت
وساوسهم تصور لهم شهواتهم حورا عينا ، كأمثال اللؤلؤ
المكنون — وهذه الحور تكشف عن مفاتنها امامهم ، وتلتصق
بهم بجميع مغرياتنا ، ومفاتنها .. فاذا وجوههم تعنوا لها ..
واذا هم ينزلون عند رغبات معاوية ويواقعون الجريمة النكراء
.. واذا هم يضعون احاديث عن رسول الله تنال من امير
المؤمنين على بن ابي طالب ، وتمجد معاوية ، ومن يريده
معاوية ..

وجن — ابو يزيد — فرحا . لقد وجد سلاحا جديدا فتاكا
يحارب به عليا الذي لا يحبه الا مؤمن . ولا ييفضه الا منافق
.. هذا السلاح يقدمه له اولئك الذين يزعمون انهم من اصحاب
رسول الله .

وامر معاوية بارسال الاحاديث المختلفة ينشرها تحت كل
كوكب سطع فيه الاسلام .. وغرض ان تعلم للصبيان غسي
الكتائب .. وان يخطب بها الخطباء على المنابر ايام الجمع
والاعياد .

وبهذه الطريقة البارعة انفتح امام الاحاديث المختلفة عالم الاسلام . وثارها المسلمون جيلا .. بعد جيل .. ولما شرع اصحاب الصحاح يطوفون في الاقطار الاسلامية ويجمعون احاديث الرسول سبكوها في كتبهم على انها احاديث صادرة عن رسول اللل لقد تم جمع وتدوين تلك الاحاديث من صدور حفاظ الحديث بعد اكثر من مئة عام من موت معاوية .. وقد ذهب مذهب معاوية كل سلاطين امية الذين جاؤوا بعدهم اعدا عمر بن عبد العزيز - فرمخت تلك الاحاديث في الصدور .. ثم استقرت في كتب الصحاح كما فكر معاوية وقدره - ودبر .. . وقام بعد ذلك البحث العلمي يظهر زيفها - وزورها .. . يقول اصحاب تاريخ العرب والاسلام - وبلغ اهتمام المسلمين بجمع الاحاديث النبوية ، ونقدها نقدا علميا الذروة في العصر العباسي - ١ -

وكان من تلك الاحاديث النبوية المختلفة ، الاحاديث التي جعلت من ابي طالب كافرا ، لانه والد علي بن ابي طالب وجعلت من ابي سفيان صحابيا ، جليلا لانه والد معاوية . اما واضعوا الاحاديث فقد رتعوها في جنات معاوية كما يشتهون .



ولكن ، ماذا كانت نتائج النقد العلمي ، بعد تدوين كتب الصحاح ونشرها ؟؟
حتى الآن : ما تزال النتائج تتأرجح بين القبول العاقل من اناس .. والاعراض المتعصب بلا برهان من آخرين .. يقول المعترضون : لقد اوردتها كتب الصحاح .. ومعنى هذا

١ - راجع الصفحة ١٧٨ من الكتاب ، طبع وزارة التربية العربية السورية

انه لايجوز نقد ، ولا تمحيص : بل ولا يبيحون الدخول في نقاش علمي ينهض على اساس مجرى الحوادث التاريخية التي عاشها الرسول ، والتي جاءت بعده . . حتى ، ولا على اساس ما يتفق مع نفسية الرسول المقدسة وخلفة العظيم ومبادئه الربانية . . لا يبيح المعترضون شيئا من هذا ، بل يطلبون استسلاما ، مطلقا ، اعمى ، كأن اصحاب الصحاح اخذوا احاديثهم من الرسول مباشرة . . وكأن اصحاب الصحاح كانت تتدخلهم العصمة حينما كانوا يجوبون الامصار ويأخذون الاحاديث من رواتها ، وكأن المؤرخين لم يثبتوا ان معاوية امر بوضع احاديث عن الرسول تدعم سياسته الاموية . . وكأنما لم يثبت انه لم يصح عند ابي حنيفة الاسبعة عشر حديثا من كل ما روي عن الرسول .

وهكذا . ما برح النقد العلمي . . والتحرر العقلي يترجحان بين السلب ، والايجاب . .

ونحن الان ، فيما نكتبه لرفع تهمة الكفر عن ابي طالب ، نتبع اسلوبا معنا ، هذا الاسلوب هو : درس اخلاق ، ونفسية « الصحابي » الذي وضع الحديث . . وبعد هذا الدرس تبرز الحقائق بجوهرها الصافي ، وينكشف الكذب بلونه القاتم الكريه وقبل البدء بالدراسة لا مفر من القول : ان معاوية وخلفاءه في الحكم ، والفكر . . لقنوا المسلمين تقديس كلمة « صحابي » كائنا من كان ذلك الصحابي بصرف النظر عن سلوكه بمسند الرسول . . حتى انه يحرم نقد ذلك السلوك ، ولو كان مخالفا لعالم القرآن الكريم ، وسنة رسول رب العالمين ، والغاية من ذلك هي : ان يظل جميع ما يروي عنهم متلبسا بالصدق في نفوس عامة المسلمين . . وان يظل جميع ما مارسوه من افعال مكان التبجيل والاحترام . . ولعل ذلك هو السبب الوحيد الذي يجعل النقد العلمي غير مقبولا عند المعترضين . . لانهم لا يقبلون ان يتركوا المريض مصحرا في معاوية ، منذ

انحرف معاوية ، وجعل الخلافة ملكا وراثيا ، بينما اوجبه
الله في كتابه الحكيم شوري .

وفعلا ، فان سنة معاوية مازلت سائدة بالنسبة لكلمة
« صحابي » ، كان الدين الاسلامي لم يدع الى تحرير العقل من
الخرافة ، والتقليد ، والجهود ، وكأنه لم يدع المسلم الى ان
يستعمل عقله في كل ما يقع تحت حسه ، وكان القرآن
لم ينتقد الصحابة عندما كانوا يخطؤون . . وكان الصحابة لم
لم ينتقدوا بعضهم ، وكان رسول الله لم يضع حدا لتقديس الصحابة
الذين يحيون عن امر ربهم حين قال : ي جاء برجال من امتي
فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رببي أصحابي فيقال : لاتدري
ماحدثوا بك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم الى قوله شهيد فيقال : ان هؤلاء لم يزالوا
مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم . (١)

اعود فأقول : انني سأنهج طريقة الدرس والتحليل في الدفاع
عن ابي طالب - درس وتحليل نفسية واخلاق الصحابي
الذي طبخ الحديث في جرابه ونسبه الى النبي ، وسأقتصر على
تقديم نماذج من حياة علميين من اعلام تلك الفئة تبين من خلالها
نفسيتيهما واخلاقهما . . ونفسية ، واخلاق من سلك دربهما
لان الجميع ، يركضون في حلبة واحدة ، لفاية واحدة .

أما هذان العلمان فهما ، المغيرة بن شعبة ، وأبو هريرة ،
على ان نبدأ بالمغيرة الذي وضع حديثا عن الرسول قال فيه :
أن ابا طالب في ضحضاح من النار (٢)

١ - راجع من صحيح البخاري الجزء السادس ص ١٧٩ . (٢) راجع
صفحة ٤٦٦ . من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة طبعة ١٩٥٤ .

اسلام المغيرة وسببه ..

يقول ابن قتيبة في كتابه المعارف : كان المغيرة صاحب قوما من المشركين ، فقتلهم غيلة ، واخذ ما معهم (١) .
هكذا غدر برفاقه فقتلهم ، واخذ نقودهم ، ولما خشي أن يطلب بالثار من ذويهم ، جاء رسول الله ، فدخل في الاسلام ليحمي نفسه ، وكان ذلك في العام السادس للهجرة .
ويقول ابن ابي الحديد عن هذه الحادثة : المغيرة جاء بنقود الثلاثة عشر رجلا الذين غدر بهم الى رسول الله ليخمسها ، فقال له رسول الله : أما اسلامك فقد قبلته ، ولا تأخذ من اموالهم شيئا ، ولا نخمسها ، لان هذا غدرا ، والغدر لا خير فيه » (٢) .

عبد الرحمن بن عوف الزاهري يتهم المغيرة بالكذب ، والنفاق
يقول صاحب العقد الفريد : قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن بن عوف الزاهري حينما بايع عثمان بالخلافة : يا ابا محمد ! لقد أصبت أذبايعت عثمان ، ولو بايعت غيره لما رضينا . فقال له عبد الرحمن : كذبت يا عوف ، لو بايعت غيره لبايعته ، وقلت هذه المقالة (٣) .

عمر يقول للمغيرة : انت الفاجر

قال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد : ان عمر بن الخطاب ، قال لما شكوا اليه اهالي الكوفة لسعد بن ابي وقاص : من يعذرنى من اهل الكوفة ؟؟ ان وليت عليهم التقي ضعفوه ، وان

(١) راجع الصفحة ١٢٨ ، ط ، ١٩٧٠ .

(٢) راجع هذه الحادثة مفصلة في ص ٦١٨ من المجلد الرابع من شرح النهج

(٣) راجع الجزء الخامس من المجلد الثالث من العقد ، ص ٣٠ تحقيق

العريشان .

وليت عليهم القوي فجروه . فقال له المغيرة : يا امير المؤمنين
ان التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفة ، والقوي الفاجر
لك قوته ، وعليه مجوره . فقال : صدقت ، فانت القوي
الفاجر ، فوالاه الكوفة (١) .

المغيرة يخلق الاحاديث

قال ابن ابي الحديد المعتزلي : ان ابا جعفر الاسكافي المعتزلي
قال : ان معاوية جعل جعلاً لقوم من الصحابة والتابعين على
رواية اخبار قبيحة في علي تقضي الطمن فيه ،
فاختلفوا ما رضاه ، منهم : ابو هريرة ، وعمرو بن العاص ،
والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير (٢) .

المغيرة يشي على معاوية بتوقيه يزيد (٣)

قال صاحب العقد الفريد : كتب المغيرة بن شعبة الى معاوية
حين كبر ، وخاف ان يستبدل به غيره : اما بعد فقد كبرت سنـي
ورق عظمي ، واقترب اجلي ، وسفهنـي سفهاء قريش ، فرايـي
امير المؤمنين في عمله موفق .
فكتب اليه معاوية : اما ماذكرت من كبر سنك ، فانت اكلت
شبابك ، واما ماذكرت من اقتراب اجلك ، فاني لو استطيت دفع
المنية لدفعتها عن آل ابي سفيان ، واما ماذكرت من سفهاء
قريش ، فحلمواؤها اهلوك ذلك المحل ، واما ماذكرت من العمل
فضح رويدا ، يدرك الهيجا حمل .

(١) راجع ص ١٦ من الجزء الاول من المقد .

(٢) راجع صفحة ٣٥٨ من الجزء الاول من شرح النهج ، ط ، ١٩٥٤ .

(٣) راجع صفحة ٦١-٦٠ من الجزء الاول من المجلد الاول للمقد تحقيق

محمد سعيد العريسان .

فلما انتهى الكتاب الى المغيرة ، كتب اليه يستأذنه في القدوم فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال له معاوية : يا مغيرة ، كبرت سنك ، ورق عظمك ، ولم يبق منك شيء ، ولا أراني الاستبدلا بك ، فأنصرف المغيرة ، وقد بدت الكتابة في وجهه وأخبر الذي كان معه بما كان من أمره . قالوا له : فما تريد أن تصنع ؟ قال : ستعلمون ذلك .

فأتى معاوية فقال له : يا امير المؤمنين ، ان الانفس يغدى عليها ويراح ، ولست في زمن ابي بكر ، ولا عمر ، فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير اليه ، فاني كنت ، قد دعوت أهل العسراق لبيعة يزيد .

فقال لسه معاوية :

يا ابا محمد ، أنصرف الى عملك ، ورم هذا الامر لابن اخيك . يقول مرافقو المغيرة :

فأقبلنا نركض على النجب ، فالتفت المغيرة فقال : لقد وضعت رجله في ركاب القى عليه أمة محمد (١) .

المغيرة الزاني .

عد الثعالبي في كتابه : لطائف المعارف ، المغيرة بن شعبة من طبقة الزناة (٢) . ويقول ابن أبي الحديد : ان حسان بن ثابت هجاه على زناه ، فقال له :

تركت الدين والاسلام لما بدت لك غدوة ذات النصف (٣)

١- يعترف انه خان أمة محمد لانه اشار بتوليده يزيد ولكنه يريد ان يظل حاكما على الكوفة ، وليكن الطوفان .

٢- راجع صفحة ١٠٠ من اللطائف وراجع صفحة ٧٢ من الجزء الثاني من تاريخ ابي العلاء وراجع صفحة ١٦٨ من المجلد من شرح النهج حيث ترى الحسن يقول للمغيرة : ان حد الله في الزنا عليك للثابت .

٣- راجع ص ٢٤٠ من المجلد الثالث من شرح النهج .

المغيرة الانتهازي .

يقول المستشرق كارل بروكلمان الألماني ، في كتابه : تاريخ الشعوب الإسلامية : ولى معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة ، وهو رجل انتهازي ، لا ذمة له ، ولا ذمام (١) .

اسلام المغيرة غير صحيح

يقول ابن ابي الحديد المعتزلي : وكان اسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا انابة ونية جميلة ، ولكنه اظهر الاسلام (٢) هذه لقطات من حياة المغيرة بن شعبة انتزعناها من التاريخ الاسلامي . . ونترك المغيرة الآن ، لنخلص الى ابي هريرة الذي وضع الحديث التالي عن رسول الله . قال الرسول لعنه ابي طالب ، قل : لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة . . فأبى . . ونرى ان نذهب مع ابي هريرة كما ذهبنا مع المغيرة فنأخذ من كتب التاريخ ، والحديث ، نتقا من حياته ، تكشف عن نفسه وأخلاقه .

أبو هريرة الأجير الجائع

يقول الدينوي في كتابه المعارف : ان ابا هريرة حدث عن نفسه فقال : نشأت يتيما ، وهاجرت ، مسكينا ، وكنت أجير لبيرة بنت غزوان ، على طعام بطني ، وكنت أخدم اذا نزلوا ، وأحدو اذا ركبوا ، وكنت بأبي هريرة بهرة صغيرة ، كنت لعب بها

١- راجع صفحة ١٢١ طبعة ١٩٦٥ .

٢- راجع ص ٦١٧ من المجلد الرابع من النهج ، ط ، ١٩٥٤ .

(١) وقد رافقته هذه الهرة بعد اسلامه ، وكان قد تجاوز الثلاثين من عمره ، لما رآه النبي يحملها في كفه ، فقال له يا ابا هريرة !! (٢) ويحدثنا صحيح البخاري : ان ابا هريرة تحدث عن جوعه فقال : لقد رايتني واني لآخر صريعا بين منبر رسول الله الى حجرة عائشة ، مفشيا علي فيجيء الجائي ، فيضع رجله على عنقي ، ويرى اني مجنون ، وما بي من جنون مابي الا الجوع (٣) وأرود البخاري عن ابي هريرة انه قال : كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله على ملء بطني (٤) .

أبو هريرة يطلب لنفسه عطاء ولغيره .. حرمانا

قدم أبو هريرة على رسول الله بعدما انتهى من فتح خيبر وكان الرسول يوزع الغنائم على المحاربين الإبطال .. وإذا أبو هريرة يطلب من الرسول أن يعطيه من مغانم غزوة خيبر .. ثم قدّمه خلقه في مهواة .. فأذا هو يطلب من الرسول : ان لايعطي ابا بن سعيد بن العاص ، فتوهج ابا بن غضبا ، وقال له : اطلب من رسول الله ان يمنعي ، وقد ثنوتني المعركة بنارها ، وتطلب لك عطاء ، ولم تر المعركة ؟؟ ثم نظر اليه بازدياء وقال : وأعجبا ، لو بر ، تدلى علينا من « قدوم ضأن » !!!

فأعطى النبي ابانا ، ولم يعط ابا هريرة شيئا . (٥)

١ — راجع ص ١٢٠ من كتاب المعارف ، ط ، ١٩٧٠ (٢) راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣) راجع الجزء التاسع من صحيح البخاري، صفحة ١٢٨ مطابع الشعب . (٤) راجع باب الحرث والمزارعة ، صفحة ١٤٣ من المجلد الثالث من الصحيح (٥) راجع صفحة ٤٦ من كتاب شيخ المصيرة لمحمود ابو ربه .

**أبو هريرة يثري من أموال الدولة .. فيجلده عمر ، ويقول
له : من أين لك هذا ؟؟**

قال بن عبد ربه في العقد الفريد : دعا عمر أبا هريرة ، فقال
له : علمت اني أستعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، ثم
يلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار ، وستمائة دينار .

قال : كانت لنا أفراس فتناجت ، وعطايا تلاحقت .
قال : حسبك لك رزقك ، ومؤونتك ، وهذا فضل فائدة
قال : ليس لك ذلك .

قال : بلى ، والله ، وأوجع ظهرك ، ثم قام اليه بالدرّة ، فضربه
حتى ادماه .. ثم قال : أثت بها .
قال : احتسبها عند الله .

قال : ذلك لو أخذتها من حلال ، وأديتها ، طائعا .
ثم وبخه منكرا ثراءه على حساب الشعب ، فقال له : أجئت
من أقصى جحر في البحرين يجبي لك الناس ، لالله ، ولا
للمسلمين ؟؟ (١) ثم لفه بنظرة ترشح بالهوان ، وقال له :
مارجعت بك سمية ، إلا لرعي الحمر ، وقبض منه المال ..
واعاده لبيت مال المسلمين ، وعزله (٢) .

**أبو هريرة يكذب نفسه ، والرافعي يثبت : أن عمر ، وعلي
وعثمان وعائشة كذبوه**

يقول صاحب الإصابة : ان أبا هريرة حدث عن نفسه فقال :
قدمت ، ورسول الله بخير ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين
فأقيمت معه حتى مات (٣) .

١- راجع الجزء الأول من العقد صفحة ٣٤ تحقيق محمد سعيد المريان -
مصر ، ٢- ولاه في العام الحادي والعشرين للهجرة ، وعزله في العام الثالث
والعشرين .. ٣- راجع الجزء السابع من الإصابة صفحة ٢٠٥ .

والصحيح الثابت ان ابا هريرة اسلم في صفر العام السابع للهجرة ، وارسله النبي مع العلاء بن الحضرمي في شهر ذي القعدة في العام الثامن للهجرة

ويروي عنه ابن سعد في طبقاته انه قال : بعثني رسول الله مع العلاء بن الحضرمي ، واوصاه بي خيرا (١)
ثم لم يعد الى المدينة الا بعد وفاة الرسول بأعوام (٢)
أما الرافعي صاحب اعجاز كتاب لقرآن فيقول في كتابه تاريخ الاداب العربية : كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية ولهذا كان عمر ، وعثمان ، وعلي ، وعائشة ، ينكرون عليه ، ويتهمونه بالكذب ، وهو اول رواية اتهم في الاسلام ، وكانت عائشة أشدهم انكارا عليه لتطاول الايام بهاويه ، اذ توفيت قبله بسنة (٣)

وابن عمر يكذبه

جاء في كتاب جامع العلم لابن عبد البر ما يأتي : عن طاوس قال : كنت جالسا عند ابن عمر ، فأتاه رجل ، فقال له : ان ابا هريرة يقول : ان الوتر ليس بحتم ، فخذوا منه ، ودعوا . فقال ابن عمر : كذب ابو هريرة . (٤)

والامام ابو حنيفة يكذبه ويرفض روايته

جاء في المثل السائر : ان الامام ابا حنيفة قال لتلميذه ابي يوسف : الصحابة كلهم عدول ، ما عدا رجالا وعد منهم ابا هريرة (٥)

١ - راجع الجزء الرابع من طبقات ابن سعد صفحة ٧٧ . (٢) راجع صفحة ٦٧ من كتاب شيخ المضيرة لمحمود ابورية (٣) راجع تاريخ الاداب العربية للرافعي ، وصفحة ٢٧٨ من شيخ المضيرة لابي رية . (٤) راجع صفحة ١٥٤ من الجزء الثالث من كتاب - جامع بيان العلم . (٥) راجع صفحة ١٧٦ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام عبده .

والامام الشيخ محمد عبده يقول عنه : انه مختلف

اورد السيد محمد رشيد رضا في كتابه تاريخ الاستاذ الامام
الشيخ محمد عبده : ان الشيخ محمد عبده قال : ان ابا هريرة
اخلق من الاحاديث ما ارضى معاوية

والعماد الحنبلي يتهمة بالتلون

يقول العماد الحنبلي في كتابه تذرات الذهب : كان ابو
هريرة يصلي خلف علي ، ويأكل على سباط معاوية ، ويهتزل
القتال (١) .

خلق جاهلي ينتزه عنه الاسلام

راينا ابا هريرة يقول فيما سبق : انه كان اجيرا عند بسرة
بنت غزوان (٢) ، ولكن عندهما قفز معاوية الى سدة الحكم
اكرهت يسرة هذه ان تتزوج ابا هريرة .
ويورد ابن سعد في الجزء الرابع من طبقاته ، في ترجمة ابي
هريرة : ان ابا هريرة تحدث عن ذلك الزواج فقال : اكرهت
نفسي من ابنة غزولن على طعام بطني ، فكانت تكلفني
ان اركب قائما ، واورد حافيا ، فلما كان بعد ذلك ، وتزوجتها
كلفتها ان تركب قائمة ، وتورد حافية . . وفي حديث اخر له :
فارحلتها كما ارحلتني . . الخ اي انه شرع يعاملها ، وهي
زوجته ، كما كانت تعامله ، وهو اجير عندها ، وذلك
مخالف لمبادئ الاسلام . . . ولكنه ابو هريرة يطبق تحت راية
القرآن ، قواعد الجاهلية الاولى

١- راجع صفحة ٦٤ من الجزء الاول من التذرات .

٢- بسرة بنت غزوان القائد العربي الذي بنى البصرة .

امام محكمة العقل ...

ان ماقدمناه من كتب التاريخ ، والحديث عن حياة كل من المغيرة وابي هريرة ، يغنيا عن دراسة مفصلة لنفسيتيهما ، وخلقيهما ، لان نفسية ، وخلق كل منهما تبدو على وجهها الفطري ، الاصيل ، لا يسترها حجاب سياسي ولا تقليد أحسق اورثتنا اياه اهواء وتسلط الحكام .

وانه ليهج الحق ان نعقد نقاشا عقلانيا مع الرجلين : المغيرة وابي هريرة ، حول مائسباه من احاديث الى الرسول عن موت عمه ابي طالب كافرا ..

لقد اسلم المغيرة بعد مضي ثمانية اعوام على وفاة ابي طالب واسلم ابو هريرة بعد تسعة اعوام من وفاته ، وبديهي ، ان احدا منهما لم يحضر وفاة ابي طالب ... اذا من اين وصلت اليهما تلك الاحاديث ؟

ولماذا لم يروها احد من الصحابة كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان والزبير .. و.و.؟؟

وهل يمكن ان تتكون قناعة عند مخلوق سوي ان يخص الرسول المغيرة ، وابا هريرة او غيرها بأحاديث تشهد على عمه ابي طالب بالكفر ، بعد مرور تسعة اعوام على وفاته ؟؟

لقد وصف الله رسوله انه كان يستحي ان ينهي الذين يدخلون بيته بلا استئذان ، منتظرين نضج الطعام ، وبعدهما يأكلون يظلون في البيت يتحدثون ...

كان ، صلى الله عليه واله ، يستحي ان ينهاهم عن ذلك ، مع انه كان يؤذيه اذى عميقا ، فانزل الله الاية التالية : يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اياه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتهسوا ، ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ، والله لا يستحي من الحق .. الاية

فهل يصدق احد في هذه البسيطة ما ينسبونه اليه عن عمه ابي

اننا لو صرفنا النظر عن نفسية الرجلين : المغيرة وأبو هريرة ،
لكان هذا وحده كافيا لاثبات اختلاقهما تشهيا لمتاع معاوية ..

ومعاوية يكافئهما فيفهمسهما في لعاب دنياه

لمس معاوية فيها وضعه المغيرة وأبو هريرة من احاديث (١)
سندا معنويا فذا ، لسياسته الجاهلية الاموية فذلاهما في بحر
من الشهوات التي اليها يطمحون .
ونظر الرجلان كلاهما الى نفسه ، فاذا الاحلام الطائسة في
اغتراف المذات البدنية تتجسد واقعا عجيبا .. اذا المغيرة
وال على الكوفة ، ينفذ سياسة معاوية .. نقطة .. نقطة
ويفعل مايشاء ...

اما أبو هريرة ، فقد بنى له معاوية قصرا بالعقيق في المدينة
المنورة واقطعه أرضا واسعة وزوجه من بسرة بنت غزوан
وكان يتولى إمارة المدينة بين حين وآخر . ووفى له معاوية
بعد موته : فكتب الى والي المدينة عتبسة ابن ابي سفيان ان
يدفع لورثة ابي هريرة عشرة الاف درهم من بيت مال
المسلمين .. (٢)

مقارنة خاطفة ، فاضحة ...

عبادة ابن الصامت احد النقباء الذين اختارهم رسول الله
وأبو ذر الغفاري الذي قال عنه رسول الله : ما ظلت الخضراء
ولا اقلت الغبراء اصدق من ابي ذر ، هذان الصحابيان ،
الجليلان ، هذان الكوكبان النيران يطردهما معاوية من دمشق
اما حجر بن عدي الذي يستوي مع عبادة ، وأبي ذر ، شرفا
وسموا ، فقد قتله معاوية قتلا ...

١ - وغيرهم ، ولكن ، وقفنا عندهما لانهن اعلى كمبا عند معاوية من الجميع
(٢) راجع صفحة ٢٦٤ من كتاب شيخ المضيرة لمحمود ابو رية المصري .

معاوية يقتل حجرا ، ويطرد ابا ذر ، وعبادة بن الصامت من دمشق ، في حين يجعل من المفيرة واليا على الكوفة ، ومن ابي هريرة واليا على المدينة ويروي دنيها من اموال المسلمين بصافي المسرات ، وهما من عرفنا . . . ترى لماذا فعل معاوية هذا ؟؟

ان التاريخ يعطينا جوابا على هذا السؤال فيقول : ان النقيب عبادة بن الصامت الانصاري ، وابو ذر الغفاري وحجر بن عدي . . كانوا من المجاهدين ، الذين يفخر الجهاد ببطولاتهم جاهدوا لاجل اضاءة الكون بعقائد الاسلام ، وتشريعاته وتعاليمه . . وقد ظل الجهاد لهم رفيقا ، بعدما تركوا السيف جهاد تركية العقول ، وتلقيحها بمبادئ الاسلام . لقد اعطوا رسالة السماء حقها شيانا وشيئا ، حتي فنوا في ذات الاسلام قوم هولاءهم يغضب عليهم معاوية ، فيطرد . . ويقتل ، لماذا ؟؟ لان دهاءه ، الناعم ، المرن ، لان امواله الجمة ، لم تفتح له دربا الى قلوبهم المؤمنة ليكسبها . . لنهم ابوا ان ينحرفوا عن مبدأ نبيهم ، ومعلمهم الاكبر محمد رسول الله ، لذلك فعل معهم ما فعل .

اما المفيرة ، وابو هريرة ، وعمر بن العاص ، الذين لاسبق لهم الى الاسلام ، ولاجهاد في سبيله . . فقد اقبلوا الى معاوية واستقاموا كما شاء فأخذهم احبابا ملء الاحضان وتقبلهم قبولا حسنا ، وسقاهم من معين الشهوات التي يريدونها نهلا . وعلا ، ولاعجب في ذلك فالارواح جنود مجندة مائعارف منها اثتلف ، وما تناكر منها اختلف .

صحابيان في مختبر الاسلام

سلمان الفارسي قدم الى مدينة الرسول من بلاد فارس ، باحثا عن الجبال الروحاني ، فوجده عند نبي الهدى محمد فأسلم . وابو هريرة جاء في وفد من اليمن مع بعض قومه

فأسلم . كلاهما : سلمان ، وأبو هريرة من أهل الصفة وكلاهما ، كان ، حين أسلم فقيرا ، محروما كما تروي كتب السيرة ، ولكن سلمان رفض مناعم الدنيا حينما سمعت إليه بينما سعى أبو هريرة وراء الدنيا ، وأغرق نفسه في متاعها . يروي هشام بن حسان عن الحسن فيقول : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان إذا خرج عطاؤه يتصدق به ، ويأكل من كسب يده ، وكان له عباءة يفرش بعضها ، ويلبس بعضها . . . وقد ذكر بن وهب ، وابن نافع ، أن سلمان لم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر ، والشجر وإن رجلا قال له إلا ابني لك بيتا تسكن فيه ؟؟

قال : لا حاجة لي ، في ذلك . . فما زال به الرجل حتى قال له : أنا أعرف البيت الذي يوافقك .

قال : فصفه لي .

قال : ابني لك بيتا إذا قمت فيه أصاب رأسك سقفه ، وإن مددت به رجلك أصابهما .

قال : نعم .

فبنى له (١)

هكذا يختار سلمان ، بعد غياب الرسول حياة نابعة من حياة الرسول . . حياة توائم صفاء روحانيته ، فدل ، بذلك دلالة قطعية أنه من أصحاب رسول الله في الدنيا ، والآخر . . . وأنه لحق ما قال رسول الله فيه : سلمان منا أهل البيت . وأبو هريرة ماذا فعل ؟؟

لقد اختار التكسب بما أخلقه من أحاديث عن الرسول فأرضى معاوية ، وأرضاه معاوية ، فأسال له اللذ من المضيرة واسكنه قصرا فخما ، وكساه الديباج المزرر ، وأقطعته

١ — راجع صفحة : ٢٠٥ و ٢٠٦ من المجلد الرابع من شرح النهج لابن أبي الحديد ، ط ، ١٩٥٤ .

الأرض ، فكان صاحباً لرسول الله على ملأ بطنه وصاحباً
لعاوية ، على ثمة حواسه ، وبطنه . . لشتان ما بين
الحياتين ، حياة الروح المنزهة عن الرجس التي عاشها
سلمان ، وحياة شهوات الجسد التي تمرغ فيها أبو هريرة . .
سلمان بقي مع رسول الله ، وأبو هريرة انضم إلى الفئة
الباغية (١) والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وإذا كانت وقفنا مع المغيرة ، وأبي هريرة ، ومن تضمه
دائرتهما ، قد اتسمت بالقصر ، فإن لنا وقفة مثلها مع ابن
أبي الحديد المعتزلي المذهب ، شارح نهج البلاغة .

يقول ابن أبي الحديد ، بعدما أورد حجج الذين يقولون بإيمان
أبي طالب . . وحجج الذين يقولون : أنه مات كافراً (٢) يقول:
أما أنا ، فإن الحال ملتبسة عندي ، والأخبار متعارضة والله
أعلم بحقيقة حاله كيف كانت ؟؟

ويقول أيضاً : وجملة الأمر ، أنه قد روى في إسلامه أخبار
كثيرة ، وروى في موته على دين قومه أخبار كثيرة فتعارض الجرح
والتعديل ، فكان كتعارض البيهقي عند الحاكم ، وذلك يقتضي
التوقف ، فأنا في أمره من المتوقفين .

ولماذا يتوقف ابن أبي الحديد عن الجزم بإيمان أبي طالب ؟؟ ،
لنسمعه يقول مبيناً السبب : إذ تعارضت البيهقيتان عند الحاكم
اقتضى التوقف «

١- الإمامان : الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، يسميان .

معاوية ومن معه « أهل البقي » راجع صفحة ٢٥٣ من الجزء الثاني من تاريخ
المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة - الأزهرى ، ط دار الفكر .

٢- راجع صفحة ٤٧٢ من المجلد الثالث من شرح النهج ، ط ، ١٩٥٤ .

إذا ، فتعارض البيانات هو الذي ألمي عليه أن يتوقف . . ونحن نقول : اننا لو أخذنا بمنطقه . . لاضعنا قيسم جميع عباقرة الإنسانية أي نبي ؟؟ أي مصلح اجتماعي ؟؟ أي فيلسوف لاهوتي ، لم تعارض فيه أقول الناس بين مكذب ، ومصدق ؟؟ اللهم ، لأحد ، وهذا برهان ساطع على اسقاط حجة ابن أبي الحديد . .

ان الحاكم النزيه ، عندما تتعارض عنده الأقوال في شخصية ما . . يأخذ بدراسة تلك الشخصية ، منبتا ، واخلاقا ، وفكرا وسلوكا ومبادئ ، وعقائد ، ومدى توافق تلك الشخصية وانسجامها مع المعارف الفاضلة التي بشرت بها ودعت اليها . . ثم بدرس الأشخاص الذين ادت شهاداتهم الى خلق التعارض . . والغرض الذي لزمهم بذلك لشهادة . . ومن هذه الدراسة الواعية يستخلص زبدة الحقيقة ، ويقدمه للتاريخ حكما يتلأ بالنور الحق والعدالة . .

هكذا يفعل الحاكم العادل ، عندما تتعارض البيانات عنده ولا يفعل كما فعل ابن الحديد الذي رأى التوقف . . .

فإذا سرنا على مبدأ تحقيق دراسة الحاكم النزيه ظهر لنا ان شخصية أبي طالب سنام المحامد . . فهو ، في أقواله وأفعاله ، ومنبته ومبادئه كوكب بشري يتوقد صدقا وإيمانا .

يبقى الأشخاص الذين ادلو بالشهادات التي تخلق التعارض اننا اذا درسنا الأشخاص الذين رواوا احاديث عن رسول الله : ان ابا طالب مات كافرا « نراهم — وعلى رأسهم المغيرة وأبو هريرة — من جنود معاوية . . وقد اعترف ابن أبي الحديد : ان معاوية امر بوضع احاديث عن رسول الله تقوي

من بنيان سلطانه ، وتحط من شأن علي وال محمد (٢) وقد رأينا فيما مضى من هو المغيرة ، ومن هو ابو هريرة ، ووضحنا ان جميع الذين اتهموا ابا طالب بالكفر ، انما كانوا مرتزقة يختطفون الاحاديث تقربا الى معاوية ، ليطمعوا من عسيلة دنياه .

اما اذا اخذنا بدراسة الاشخاص الذين شهدوا بايمان ابي طالب فاننا نراهم يتفياون ظلال سدرة المنتهى : خلقا وصدقا وايماناً ..

اننا نرى على رأسهم : رسول الله وعلياً وابا بكر
فباي الشهادات نأخذ ؟؟
انأخذ بشهادة : المغيرة ، وابي هريرة ، وشرذمتهمها .. ام
نأخذ بشهادة رسول الله وعلي وابي بكر ؟؟

نرى ، هل غابت الحقائق عن ابن ابي الحديد عندما اعتمد التوقف ؟؟ ام كان يرمى الى التشكيك ، والمغالطة ، لامر خفي ، لانعلمه في الواقع ، انه لايهمنا اذا كان عمله تشكيكا ، او مغالطة ، او تقصيرا في الدراسة ، بعدما اثبتنا ان حجته داحضة ، ساقطة اما ، وقد عرضنا شيئا من « بضاعة » مرتزقة معاوية ، في ابي طالب ، فان عدالة البحث تفرض علينا ، ان نقدم مآقاله انصار الله في ابي طالب ، نأخذ ذلك عن ابن ابي الحديد نفسه .

قال رسول الله : انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة (واشار بأصبعيه السبابة والوسطى) ، يريد بذلك عمه ابا طالب الذي

١ - راجع صفحة ٤٧٢ ، من المجلد الثالث من شرح النهج ، ط ، ١٩٥٤
(٢) راجع من المجلد الثالث من شرح النهج صفحة ٢٤ طبعة ١٩٥٤ .

كفله يتيمًا (١) .

وقال علي : ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا (٢) .

وقال الخليفة الأول أبو بكر الصديق للرسول حينما جلب والده أبا قحافة ليدخل في الاسلام : اما والذي بعثك بالحق ، لانا كنت أشد فرحا باسلام عمك أبي طالب مني باسلام والدي التمس بذلك قرّة عينك (٣) .

قال رسول الله : صدقت .

وسئل علي بن الحسين (زين العابدين) عما نسبته مختلقو الأحاديث عن موت أبي طالب على الكفر فقال :

وأعجبا !!! ان الله تعالى نهى رسول الله أن يقر مسلمة على نكاح كافر ، وقد كانت فاطمة بنت أسد ، من السابقات الى الاسلام ، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات (٤) .

وسئل الامام الباقر عما يقوله الناس : ان ابا طالب في ضحضاح من النار ، فقال : لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان ، وايمان هذا الخلق في كفة اخرى لرجح ايمانه (٥) .

وقرأ أبان بن محمود — وهو شيعي — الاخبار التي وضعها « ميرتقة معاوية » عن أبي طالب ، فما له ذلك ، فكتب الى الامام علي الرضا : جعلت فداك ، انسي شككت في ايمان أبي طالب .

فكتب اليه الامام الرضا :

١ — راجع صفحة ٢٦٦ ، من المجلد الثالث من شرح النهج ، ط ، ١٩٥٤ .

(٢) راجع صفحة ٢٦٥ من المصدر السابق .

(٣) راجع المصدر السابق نفسه (٤) هذه حجة مصدرها التشريع

الاسلامي ، يقول عبد العزيز سيد الاهل في كتابه «ابو طالب عم النبي» ،

في الصفحة ٩٥ وهم الدين الجديد المشتركة على المسلم ، والمشارك على المسلمة

— الكتاب طبع القاهرة . (٥) راجع صفحة ٢٦٥ من المجلد الثالث من شرح

النهج .

ومن يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير
سبيل المؤمنين ، نوله ماتولى ، وتصله جنهم ، وساعت مصيرا
وكتب اليه بعد الآية : انك ان لم تقر بايمان ابي طالب ، كان
مصيرك الى النار (١)

وقال ابن تيمية الملقب بشيخ الاسلام : ان ما يروونه عن
علي ان اعرابيا صلى ، ونقر صلاته ، فقال علي : لا تنقصر
صلاتك .

فقال الاعرابي : يا علي ، او نقرها ابوك لما دخل النار ،
هذا ، كذب (٢)

واننا لنكتفي بما قدمناه عن ايمان ابي طالب من حقائق
مكتنزة بالنقل . . لنصرف الى تسجيل سقطة ثانية على ابن
ابي الحديد هذه السقطة هي : انه يثبت الكفر على ابناء
الرسول .

لنصغ اليه يقول : نقل الناس كافة عن رسول الله انه
قال : نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ، فوجب
بهذا ان يكون اباؤه كلهم منزهين عن الشرك ، لانهم لو كانوا
عبدة اصنام لما كانوا طاهرين . . الخ .

هذه الحجة اوردها عن الذين يقولون بايمان اباء الرسول ،
ولكن ابن ابي الحديد يرى هذا القول خطأ صافيا ، لذا يرد
عليهم فيقول : ان المراد من قوله : نقلنا من الاصلاب الطاهرة
الى الارحام الزكية ، تنزية ابائه ، وامهاته عن السفاح ،
لا غير .

ذلك هو حكم بن ابي الحديد ، ان للرسول حديثا اخر غير
هذا يثبت انه لم يخرج من سفاح ، قال (ص) : خرجت من
نكاح ، ولم اخرج من سفاح .

١ - راجع صفحة ٤٦٥ من المصدر السابق .

٢ - راجع صفحة ٢٤٣ من المجلد الثاني من فتاوي ابن تيمية ، طبع دار
المعرفة بيروت .

وهذا يلزم ، حكما ، أن يكون معنى قول الرسول : نقلنا من الاصلااب الطاهرة الى الارحام الزكية : أن إباءه ، وامهاته ، منزّهون عن الشرك .. وانه ليغنيانا ، عن التنقيب ، والاستقراء لبيان فساد حكم ابن ابي الحديد ، البحث الموضوعي الذي كتبه السيد عبد الرحمن الجزيري ، صاحب كتاب الفقه على المذاهب الاربعة ، في هذا الشأن ، لانه يعتبر ردا قاطعا على ابن ابي الحديد وغيره .

قال : ان اجداد النبي كانوا مسلمين ، لا مشركين ، لانهم كانوا يعبدون الله على شريعة ابراهيم ، وليس نقل هذا القول مقصورا على الرافضة ، فقط ، كما نقله بعض الفقهاء ، عن ابي حيان ، في تفسير قوله تعالى : وتقلبك في الساجدين ، وعلى فرض نقله عنهم وحدهم ، فانه لا يضر بالموضوع ، لانهم نقلوا مسألة تاريخية يؤيدها العقل ، والمنطق السليم ..

ثم تابع يقول :

ويدل لذلك ، ما ورد من أن نور النبي ، كان ينتقل في الاصلااب ، والارحام الطاهرة ، حتى وصل الى عبد الله ، وآمنة ، وقد نص الله تعالى على أن الشرك نجس ، قال الله تعالى : انما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام ، فكيف ينتقل نور النبوة في الاصلااب التي حكم الله انها نجسة كنجاسة الخنزير ؟؟

ويمضي في تحليله الرائع فيقول : وما يوجب العجب قول بعضهم : ان ابوي النبي ماتا على الكفر ، وفي الوقت نفسه يذكرون : أن آمنة كانت تحوطها الملائكة الكرام ، وكان يرى نور النبوة في جبهة عبد الله الى اخر ما ذكره .. ثم يتساءل فيقول : فهل الشرك النجس تزفه الملائكة ، وتخالطه الارواح الطاهرة ، ويرى من ارهاصات النبوة ما يجيد انه أقرب المقربين الى ربه ؟؟

ثم يتحدث عن جده عبد المطلب فيقول : انظر ما روى عن

جده عبد المطلب ، وهو يضرع الى الله ، ويستغيث به من
أصحاب الفيل حيث يقول :

**لاهم !! ان المرء يمنع رحله ، فامنع رحالك
وانصر على ال الصليب ، وعابديه ، اليوم، آلك**

ثم تسأل : فهل هذا الكلام ، كلام وثني يعبد الصنم ؟؟ أو
كلام مخلص لربه ؟؟

وبعدما يتكلم عن عصر الفترة ، وأجداد النبي يخلص الى
القول : وبعد : فلم يثبت ان آباء النبي كانوا مشركين ، بل
ثبت أنهم كانوا موحدين ، فهم أطهار مقربون ، ولا يحوز ان
يقال : ان أبوي النبي كافران على أي حال ، بل هما في أعلى
فراديس الجنان (١) .



يرى السيد الجزائري في قول عبد المطلب :

لاهم !! ان المرء يمنع رحله ، فامنع رحالك

كلام موحد ، مخلص لربه ، وهذا ، حق ، وصدق .
ولكن بصيرة ابن أبي الحديد ، وغيره من « ابطال ورثة
التعصب الاموي » تفشى عن رؤية الايمان في قول ابي طالب

**الم تعلموا ، اننا وجدنا محمدا
نبيا كموسى ، خط في اول الكتب**

١- راجع من الصفحة ٢٠٨ الى الصفحة ٢١٣ من المجلد الرابع ، اخر
باب النكاح ، من كتاب الفقه على المذاهب الاربعة للجزيري .

ولافي قوله :

يا شاهد الله ، علي فاشهد

انسي على دين النبي احمد (١)

ولافي قوله لاخته الحمزة يوصيه :

فصبرا ، ابا يعلى ، علي دين احمد

وكن مظهرا للدين ، وفقت صابرا (٢)

وخط من اتى بالحق من عند ربه

بصدق ، وعزم ، لا تكن ، حمز، كافرا

فقد سرنى ، اذ قلت : انك مؤمن

فكن لرسول الله ، في الله ناصرا

وباد قريشا ، بالذي قدد اتيتيه

جهارا ، وقل : ماكان احمد ساحرا

ولا في قول ابي طالب عندما خطب خديجة لحمد : الحمد

لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل (٣) ولا في

قوله بعدما تمت الخطوبة : الحمد لله الذي بنعمته تتم

الصالحات .. ولا .. ولا .. الخ .

الا ما بعد المسافة بين الذهنية المتحررة من تراث الخرافة

والموضوعية الرزينة التي يطلع بهما الجزيري على القارىء،

وبين الحكم المهلهل المدحور الذي يفجأ به ابن ابي الحديد ،

١ - بيلا ابن ابي الحديد سبع عشرة صفحة من المجلد الثالث من شرح

النهج من صفحة ٤٥٧ الى ٤٧٤ من شعر ، وما من قصيدة مما نقله الا تظهر

ايمان ابي طالب بأجل بياض .

٢ - ابو يعلى كنية الحمزة .

٣ - راجع صفحة ١٥ ، من كتاب ابو طالب عم النبي ، لعبد العزيز سيد

الاهل .

والمتعصبون لمرتزقة معاوية ومن شاكلهم .. ويجب ان لا نغفل عن ذكر نقطة جوهريّة في الموضوع هي : ان حديث الرسول نقلنا من الاصلاب الطاهرة ، الى الارحام الزكية يشمل ابا طالب كما يشمل عبد الله والد محمد رسول الله ، لانهما شقيقان من اب واحد هو : عبد المطلب ، وام واحدة هي فاطمة بنت عمر المخزومية ، فابو طالب مؤمن جوهرا ، ومسلم ذاتا ، نور ، على نور .

والان ، وقد انتهى بنا المطاف الى نقطة الختام نتساءل : هل كنا متحيزين في دراستنا ؟؟

على هذا السؤال نجيب فنقول لا ، لاننا اشرنا الى المصادر الموثوقة التي اخذنا عنها بالدقة التامة ، ولاننا نؤمن ان التحيز اساسا ، لا يحي حقا ، ولا يميت باطلا ..

ونتساءل ثانية فنقول : ماذا اثبتت لنا هذه الدراسة ؟؟
قبل الجواب على هذا السؤال نلخص ما مر معنا في كلمات قلائل فنقول : لقد اثبتت هذه الدراسة ما يأتي :

١ — ان شعر ابي طالب يدل قطعاً على انه كان مؤمناً بنبوّة محمد ، وانه كان يدعو الناس الى الايمان بتلك النبوة ، وانه لقي في سبيل حماية رسول الله ، وحماية الاسلام خلال اثنين واربعين عاماً اعظم ما يمكن ان يلقي مؤمن في سبيل عقيدته ، وما كان ابو طالب ليتحمل من الآلام ما تحمل لولا ايمانه الصميم بأن ابن اخيه محمد رسول الله .

٢ — تبين لنا ان الذين وضعوا الاحاديث في تكفير ابي طالب انما وضعوها ارضاء لمعاوية ، وطمعاً في خيرات دنيا ، وقد جازاهم على صنيعهم فصب عليهم النعيم صبا كما راينا .

٣ — وأوضح لنا العقل من النقاش الذي اجريناه حول واضعي الاحاديث انهم قد افترؤا على رسول الله ، وعلى ابي طالب .

٤ — وابان لنا النقل : ان رسول الله ، و ابا بكر ، وعليه .
والائمة من آل محمد شهدوا لابي طالب ليس في الاسلام فقط
بل شهدوا انه من اهل الفردوس الاعلى .

٥ — المسلمون مجمعون على صحة شعر ابي طالب في
الرسول ، ونبوة الرسول ، ودفاعه عن الاسلام ، كما كانوا
مجمعين على ايمانه ، قبل ان تسود امية بشخص معاوية .

بعد هذا ، نجيب على السؤال فنقول : ان هذه الدراسة
— على صفرها — اظهرت ابا طالب على حقيقته عملاق الاسلام
الذي لولا ايمانه ، وجهاده ، وصبره ، لما انتصر الاسلام ، ولا
كان الاسلام ، الا ان يشاء الله ، فصلاة الله وسلامه على ابي
طالب سيد البطحاء ، وعملاق الاسلام الخالد .

سوريا	محمد علي اسبر
جبله	٢ محرم ١٣٩٦ هـ

● ● مصادر البحث :

- ١ - محمد عند العلماء العرب الشيخ خليل ياسين
- ٢ - أبو طالب عم النبي الأستاذ عبد العزيز سيد الاهل
- ٣ - أبو طالب مؤمن قرينى الأستاذ عبد الله الخنيري
- ٤ - تاريخ الطبري المؤرخ محمد بن جرير الطبري
- ٥ - صحيح مسلم الامام مسلم
- ٦ - نور الابصار للشبلنجي الشافعي
- ٧ - العقد الفريد لابن عبد ربه
- ٨ - تاريخ العرب والاسلام وزارة التربية العربية السورية
- ٩ - صحيح البخاري الامام البخاري
- ١٠ - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المقتزلي
- ١١ - لطائف المفارق للثعالبي
- ١٢ - تاريخ ابي الفداء لابي الفداء
- ١٣ - المعارف للدينوري
- ١٤ - القاموس المحيط للفيروز ابادي
- ١٥ - شيخ المضيرة الشيخ محمود ابو ربه
- ١٦ - الاصابة لابن حجر العسقلاني
- ١٧ - طبقات ابن سعد لابن سعد
- ١٨ - تاريخ الاداب العربية الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
- ١٩ - جامع بيان العلم لابن عبد البر
- ٢٠ - تاريخ الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا
- الاما محمد عبده
- ٢١ - شذرات الذهب للعماد الحنبلي
- ٢٢ - تاريخ المذاهب للشيخ محمد أبو زهرة
- الاسلامية
- ٢٢ - فتاوي ابن تيمية لابن تيمية
- ٢٤ - الفقه على للاستاذ عبد الرحمن الجزيري
- المذاهب الاربعة
- ٢٥ - تاريخ الشعوب المستشرق بروكلمان
- الاسلامية
- ٢٦ - مجمع البيان في للشيخ ابي الفضل الطبرسي
- نفسه القرآن

